سبق فكتب الى الحجّاج يستمدّه فامدّه بسَبْرة بن عبد الرحمان بن مخنف وغيره واقبل شبيب حتّى نزل بَهُرَسِير وكان مطرّف بالمدينة العتيقة وهي لئة فيها ايوان كسرى فقطع مطرّف الجسر وبعث الى شبيب يطلب اليه ان يرسل بعض اصحابه لينظر فيما يدعون فبعث اليه عدّة منهم فسألهم مطرّف عمّا يدعون اليه فقالوا ندعو الى كتاب الله وسنّة رسوله صلعم وانّ الذى نقمنا[1] من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود * والتسلّط بالجبريّة[2]، فقال لهم مطرّف ما دعوتم الّا الى حقّ وما نقمتم الّا جورًا ظاهرًا انا لكم متابع فبايعونى على ما ادعوكم اليه ليجتمع امرى وامركم فقالوا اذكرْه فان يكن حقّا نجبْك اليه، قال ادعوكم الى ان نقاتل هؤلاء الظلمة على احداثهم وندعوهم الى كتاب الله وسنّة نبيّه وأن يكون هذا الامر شورى بين المسلمين يؤمّرون مَنْ يرتضون على مثل هذه الحال لئة تركهم عليها عمر بن الخطاب فانّ العرب اذا علمتْ انّما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم واعوانكم، فقالوا هذا ما لا نجيبك اليه وقاموا من عنده وتردّدوا بينهم اربعة ايّام فلم تجتمع كلمتهم فساروا من عندهُ واحصر مطرّف نصحاءه وثقاته فذكر لهم ظلم الحجّاج وعبد الملك وانّه ما زال يؤثر مخالفتهم ومناصبتهم وانّه يرى ذلك دينًا لو وجد عليه اعوانًا وذكر لهم ما جرى بينه وبين اصحاب شبيب وانّهم لو تابعوه على رايه يخلع عبد الملك والحجّاج واستشارهم فيما يفعل، فقالوا له اخفِ هذا الكلام ولا تُظْهره لاحد، فقال له يزيد بن ابى زياد مولى ابيه المُغيرة ابن شُعْبَة والله لا يخفى على الحجّاج ممّا كان بينك وبينهم كلمة واحدة وليزادنّ على كلّ كلمة عشر امثالها ولو كنتَ فى السحاب لتسكن الحجّاج حتّى يُهْلكك فالنجاء النجاء، فوافقه اصحابه

---

[1]) C. P. بعينا. [2]) Om. C. P.

Digitized by Google

كثير قد قتل من عشائرهم فلمّا تخلّف فى آخر الناس قال بعضهم لبعض هل لكم ان نقطع به الجسر فندرك ثارنا فقطعوا الجسر فمالت به السفن فنفر به الفرس فوقع فى الماء فغرق والاوّل اصحّ واشهر، وكان اهل الشام يريدون الانصراف فاتاهم صاحب الجسر فقال لسفيان انّ رجلاً منهم وقع فى الماء فنادوا بينهم غرق امير المؤمنين، ثمّ انّهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه احدٌ فكبّر سفيان وكبّروا اصحابه واقبل حتّى انتهى الى الجسر وبعث الى العسكر واذ ليس فيه احدٌ واذا هو اكثر العساكر خيرًا ثمّ استخرجوا شبيبًا فشقّوا جوفه واخرجوا قلبه وكان صلبًا كانّه صخرة فكلّ يضرب به الصخرة فشبّت عنها قامة الانسان، قيل وكان شبيب ينعى الى امّه فقال قُتل فلا تقبل ذلك فلمّا قيل لها غرق صدّقت ذلك وقالت انّى رايت حين ولدتُهُ انّه خرج منّى شهاب نار فعلمتُ انّه لا يُطْفئه الاّ الماء وكانت امّه جارية روميّة قد اشتراها ابوه فاولدها شبيبًا منه سنة خمس وعشرين يوم النحر وقالت انّى رايت فيما يرى النائم انّه خرج من قلبى شهاب نار فذهب ساطعًا فى السماء وبلغ الافاق كلّها فبينا هو كذلك اذ وقع فى ماء كثير فخبأ وقد ولدته فى يومكم هذا الذى تهريقون فيه الدماء وقد اوّلت ذلك انّ ولدى يكون صاحب دماء وانّ امره سيعلو فيعظم سريعًا، وكان ابوه يختلف به الى اللصف ارض قومه وهو من بنى شيبان ❁

ذكر خروج مُطَرِّف بن المُغيرة بن شُعْبَة،

قيل انّ بنى المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء اشرافًا بانفسهم مع شرف ابيهم ومنزلتهم من قومهم فلمّا قدم الحجّاج ورآهم علم انّهم رجال قومهم فاستعمل عُرْوَة على الكوفة ومُطَرِّفًا على المدائن وحمزة على هِذان وكانوا فى اعمالهم احسن الناس سيرةً واشدّهم على المريب وكان مطرّف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها كما

Digitized by Google

فيه ثمّ حمل عليهم هو واصحابه اكثر من ثلاثين حملة ولا يزول اهل الشام وقال لهم سفيان لا تتفرّقوا وليزحف الرجال[1] اليهم زحفًا فما زالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتّى اضطرّوهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو مائة فقاتلوهم حتّى المساء واوقعوا باهل الشام من الضرب والطعن ما لم يروا مثله، فلمّا راى سفيان عجزه عنهم وخاف ان ينصروا عليه امر الرّماة ان يرموهم وذلك عند المساء وكانوا ناحية فتقدّموا ورموا شبيبًا ساعة فحمل هو واصحابه على الرّماة فقتلوا منهم اكثر من ثلاثين رجلًا ثمّ عطف على سفيان ومَن معه فقاتلهم حتّى اختلط الظلام ثمّ انصرف فقال سفيان لاصحابه لا تتبعوهم، فلمّا انتهى شبيب الى الجسر قال لاصحابه اعبروا واذا اصبحنا باكرناهم ان شاء الله، فعبروا امامه وتخلّف فى آخرهم رجاء ليعبر وهو على حصان وكانت بين يديه فرس انثى فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت للحجر تحته ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط فى الماء فلمّا سقط قال ليقضى الله امرًا كان مفعولًا وانغمس فى الماء ثمّ ارتفع وقال ذلك تقدير العزيز العليم وغرق، وقيل فى قتله غير ذلك وهو انّه كان مع جماعة من عشيرته ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالًا فكان قد اوجع قلوبهم وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بنى تيم بن شيبان فلمّا قتل شبيب من بنى تيم اغار هو على بنى مُرّة بن همّام رهط شبيب فقتل منهم فقال له شبيب ما حملك على قتلهم بغير امرى فقال له قتلتَ كفّار قومى فقتلتُ كفّار قومك ومن ديننا قتل من كان على غير راينا وما اصبتَ من رهطى اكثر ممّا اصبتُ من رهطك وما يحلّ لك يا امير المؤمنين ان تجد على قتل الكافرين، قال لا اجد، وكان معه ايضًا رجال

---

1) Om. C. P.

Digitized by Google

القَعْقاع فقال يا عمير لا حكم الّا لله فقال فى[1] سبيل الله شبانى فردّد عليه شبيب لا حكم الّا لله فلم يفقه ما يريد فقتله، وقُتل معه اخو شبيب وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين انبعوا خالدًا فابطأوا ولم يقدم اصحاب الحجّاج على شبيب هيبة له واتى الى شبيب اصحابه الثمانية فساروا واتبعهم خالد وقد دخلوا الى دَيْر بناحية المدائن فحصرهم فيه فخرجوا عليه فهزموه نحو فرسخَيْن فالقوا انفسهم فى دجلة منهزمين والقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده فقال شبيب قاتله الله هذا اسد الناس فقيل هو خالد ابن عتّاب فقال يُعْرَف فى الشجاعة ولو عرفتُهُ لاقحمتُ خلفه ولو دخل النار، ثمّ سار الى كرمان على ما تقدّم ذكره وكتب الحجّاج الى عبد الملك يستمدّه ويعرّفه عجز اهل الكوفة عن قتال شبيب فسيّر سفيانَ بن الابْرد فى جيش اليه ۞

ذكر مهلك شبيب

وفى هذه السنة هلك شبيب وكان سبب ذلك انّ الحجّاج انفف فى اصحاب سفيان بن الابْرد مالًا عظيمًا بعد ان عاد شبيب عن محاربتهم وقصد كرمان بشهرين وامر سفيان واصحابه بقصد شبيب فسار نحوه وكتب الحجّاج الى الحَكَم بن ايّوب زوج ابنته وهو عامله على البصرة يامره ان يرسل اربعة آلاف فارس من اهل البصرة الى سفيان فسيّرهم مع زياد بن عمرو العَتَكىّ فلم يصل الى سفيان حتّى التقى سفيان مع شبيب وكان شبيب قد اقام بكرمان فاستراح هو واصحابه ثمّ اقبل راجعًا فالتقى مع سفيان بجسر دُجَيْل الاهواز فعبر شبيب الجسر الى سفيان فوجد سفيانَ قد نزل فى الرجال * وجعل مهاصر بن سيف على الخيل، واقبل شبيب فى ثلاثة كراديس فاقتتلوا اشدّ قتال ورجع شبيب الى المكان الذى كان

---

[1]) Om. C. P.

Digitized by Google

الرعيّة قال وكيف ذلك قال لانّك تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعلًا فينهزمون ويستحيى ان ينهزم فيُقْتَل قال فما الراى قال الراى ان تخرج اليه فتحاكمه قال فانظر لى معسكرًا، فخرج الناس يلعنون عنبسة بن سعيد لانّه هو الذى كلّم الحجّاج فيه حتّى جعله من صحابته وصلّى الحجّاج من الغد الصبح واجتمع الناس واقبل قتيبة وقد راى معسكرًا حسنًا فدخل الى الحجّاج ثمّ خرج ومعه لواء منشور وخرج الحجّاج يتبعه حتّى خرج الى السبخة وبها شبيب وذلك يوم الاربعاء فتواقفوا وقيل للحجّاج لا تعرّفه مكانك فاخفى مكانه وشبّه له ابا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود فقتله وحمل شبيب على خالد بن عتّاب ومَنْ معه وهو على ميسرة الحجّاج فبلغ بهم الرحبة وحمل على مَطَر ابن ناجية وهو على ميمنة الحجّاج فكشفه فنزل عند ذلك الحجّاج ونزل اصحابه وجلس على عباءة ومعه عَنْبسة بن سعيد فانّهم على ذلك اذ تناول مَصْقَلة بن مُهَلْهِل الضّبّىّ لجام شبيب وقال ما تقول فى صالح بن مسرّح وبِمَ تشهد عليه قال اعلى هذه الحال قال نعم قال فبرئ من صالح فقال له مصقلة برئ الله منك وفارقه الّا اربعين فارسًا، فقال الحجّاج قد اختلفوا وارسل الى خالد بن عتّاب فاتى بهم فى عسكرهم فقاتلهم فقُتلت غزالة ومرّ[1] برأسها الى الحجّاج مع فارس فعرفه شبيب فامر رجلًا فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس فامر به فغُسل ثم دفنه، ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد فاخبر الحجّاج بانصرافهم فامره باتباعهم فاتبعهم يحمل عليهم فرجع اليه ثمانية نفر فقاتلوه حتّى بلغوا به الرحبة واُتى شبيب بخوط بن عمير السدوسىّ فقال يا خوط لا حكم الّا لله فقال * لنّ خوطًا من اصحابكم ولكنّه كان يخاف فاطلقه واُتى بعُبَيْر بن

---

[1]) C. P. وامر.

Digitized by Google

اثره حتّى نزل الانبار وكان الحجّاج قد نادى عند انهزامهم مَنْ جاء بامنكم فهو آمن، فتفرّق عن شبيب ناس كثير من اصحابه، فلمّا نزل حبيب الانبار اتاهم شبيب فلمّا دنا منهم نزل فصلّى المغرب وكان حبيب قد جعل اصحابه ارباعًا وقال لكلّ ربع منهم ليمنع كلّ ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يعنْهم الربع الآخر فانّ للخوارج قريبًا منكم فوطّنوا انفسكم على انّكم مبيتون ومقاتلون، فاتاهم شبيب وهم على تعبية فحمل على ربع فقاتلهم طويلًا فما زالت قدم انسان عن موضعها ثمّ تركهم واقبل الى ربع آخر فكانوا كذلك ثمّ الى ربعًا آخر فكانوا كذلك ثمّ الربع الرابع فما برح يقاتلهم حتّى ذهب ثلاثة ارباع الليل ثمّ نازلهم راجلًا فسقطت منهم الايدى وكثرت القتلى وفقئت الاعين وقُتل من اصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلًا ومن اهل الشام نحو مائة واستولى التعب والاعياء على الطائفتيْن * حتّى انّ الرجل ليضرب بسيفه فلا يصنع شيئًا[1] وحتّى انّ الرجل ليقاتل جالسًا فما يستطيع ان يقوم من التعب، فلمّا يئس شبيب منهم تركهم وانصرف عنهم، ثمّ قطع دجلة واخذ فى ارض جُوخى ثمّ قطع دجلة مرّة اخرى عند واسط ثمّ اخذ نحو الاهواز ثمّ الى فارس ثمّ الى كرمان ليستريح هو ومَنْ معه، وقيل فى هزيمته غير ذلك وهو انّ الحجّاج كان قد بعث الى شبيب اميرًا فقتله ثمّ اميرًا فقتله احدهما أعين صاحب حمّام أعين ثمّ جاء شبيب حتّى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة وكانت نذرت ان تصلّى فى جامع الكوفة ركعتيْن تقرأ فيهما البقرة وآل عمران واتّخذ فى عسكره اخصاصًا، فجمع للحجّاج ليلًا بعد ان لقى من شبيب الناس ما لقوا فاستشارهم فى امر شبيب فاطرقوا وفصل قتيبة من الصفّ فقال اتأذن لى فى الكلام قال نعم قال انّ الامير ما راقب الله ولا امير المؤمنين ولا نصح

---

[1]) Om. C. P.

Digitized by Google

بكرسيّه فقدّم، ثمّ انّ شبيبًا حمل عليهم فى كتيبته فثبتوا له وصنعوا به كذلك فقاتلهم طويلًا ثمّ انّ اهل الشام طاعنوه حتّى ألقوه باصحابه، فلمّا راى صبرهم نادى يا سويد احمل عليهم باصحابك على اهل هذه السكّة لعلّك تُزيل اهلها وتاتى الحجّاجَ من ورائه وتحمل نحن عليه من امامه، فحمل سويد فرُمى من فوق البيوت واقوه السكك فرجع، وكان الحجّاج قد جعل عُرْوة بن المغيرة بن شُعْبة فى ثلاثمائة رجل من اهل الشام رِدْأً له لئلّا يُؤتوا من خلفهم فجمع شبيب اصحابه ليحمل بهم فقال الحجّاج اصبروا لهذه الشدّة الواحدة ثمّ هو الفتح تجثّوا على الركب، وحمل عليهم شبيب بجميع اصحابه فوثبوا فى وجهه وما زالوا يطاعنونه ويضاربونه قدمًا ويدفعونه واصحابه حتّى اجازوهم مكانهم، وامر شبيب اصحابه بالنزول فنزل يصفّهم وجاء الحجّاج حتّى انتهى الى مسجد شبيب ثمّ قال يا اهل الشام هذا اوّل الفتح وصعد المسجد ومعه جماعة معهم النبل ليرموهم ان دنوا منه فاقتتلوا عامّة النهار اشدّ قتال راه الناس حتّى اقرّ كلّ واحد من الفريقين لصاحبه، ثمّ انّ خالد بن عتّاب قال للحجّاج أيذنْ لى فى قتالهم فانّى موثور فاذن له فخرج ومعه جماعة من اهل الكوفة وقصد عسكرهم من ورائهم فقتل مصادًا اخا شبيب وقتل امرأته غزالة وحرق فى عسكره، واتى الخبر الحجّاجَ وشبيبًا فكبّر الحجّاج واصحابه وامّا شبيب فركب هو واصحابه وقال الحجّاج لاهل الشام احملوا عليهم فانّهم قد اتاهم ما ارعبهم، فشدّوا عليهم فهزموهم وتخلّف شبيب فى حامية الناس، فبعث الحجّاج الى خيله أن دَعُوه فتركوه ورجعوا ودخل الحجّاج الكوفة فصعد المنبر ثمّ قال والله ما قوتل شبيب قبلها وتى والله هاربًا وترك امرأته يكسر فى استها القصب، ثمّ دعا حبيب بن عبد الرحمان الحكمىّ فبعثه فى ثلاثة آلاف فارس من اهل الشام فى اثر شبيب وقال له احذرْ بياته وحيث لقيتَه فانزله فانّ الله تعالى قد فلّ حدّه وقصم نابه، فخرج فى

Digitized by Google

ذكر قدوم شبيب الكوفة ايضًا وانهزامه عنها،

ثمّ سار شبيب من سورا فنزل حمّام أعين فدعا الحجّاج الحارث بن معاوية الثقفيّ فوجّهه فى ناس من الشرط لم يشهدوا يوم عتّاب وغيرهم فخرج فى نحو الف فنزل زُرارة فبلغ ذلك شبيبًا فعجل الى الحارث بن معاوية فلمّا انتهى اليه حمل عليه فقتله وانهزم اصحابه وجاء المنهزمون فدخلوا الكوفة وجاء شبيب فعسكر بناحية الكوفة واقام ثلاثًا فلم يكن فى اليوم الاوّل غير قتل الحارث، فلمّا كان اليوم الثانى اخرج الحجّاج مواليه فاخذوا بافواه السكك وجاء شبيب فنزل السَّبْخة وابتنى بها مسجدًا فلمّا كان اليوم الثالث اخرج الحجّاج ابا الورد مولاه عليه تجفاف ومعه غلمان له وقالوا هذا الحجّاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجّاج فقد ارحتكم منه، ثمّ اخرج الحجّاج غلامه طهمان فى مثل تلك العدّة والحالة فقتله شبيب وقال ان كان هذا الحجّاج فقد ارحتكم منه، ثمّ انّ الحجّاج خرج ارتفاع النهار من القصر فطلب بغلًا يركبه الى السبخة فأُتى ببغل فركبه ومعه اهل الشام فخرج فلمّا راى الحجّاج شبيبًا واصحابه نزل وكان شبيب فى ستّمائة فارس فاقبل نحو الحجّاج وجعل الحجّاج سَبْرة بن عبد الرحمان بن مِخْنَف على افواه السكك فى جماعة الناس ودعا الحجّاج بكرسىّ فقعد عليه ثمّ نادى اهل الشام انتم اهل السمع والطاعة واليقين فلا يغلبنّ باطل هولاء الارجاس حقّكم غضّوا الابصار واجثوا على الركب واستقتلوهم باطراف الاسنّة، ففعلوا واشرعوا الرماح وكانّهم حرّة سوداء واقبل شبيب فى ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سُوَيْد بن سُلَيْم وكتيبة مع المُحَلّل ابن وائل وقال لسويد احملْ عليهم فى خيلك فحمل عليهم فثبتوا له ووثبوا فى وجهه باطراف الرماح فطعنوه حتّى انصرف هو واصحابه، وصاح الحجّاج هكذا فافعلوا وامر بكرسيّه فقُدّم وامر شبيب المحلّل فحمل عليهم ففعلوا به كذلك فناداهم الحجّاج هكذا فافعلوا وامر

Digitized by Google

جلّ ثناؤه قد اهدى الينا الشهادة عند فناء اعمارنا، فلمّا دنا منه شبيب وثب فى عصابة قليلة صبرت معه وقد ذهب الناس فقيل له انّ عبد الرحمان بن الاشعث قد هرب وتبعه ناس كثير فقال ما رايتُ ذلك الفتى يبالى ما صنع ثمّ قاتلهم ساعة فراه رجل من اصحاب شبيب يقال له عامر بن عمر التغلبىّ فحمل عليه فطعنه ووطئت الخيل زُهْرة بن حَوِيّة فاخذ يذبّ بسيفه لا يستطيع ان يقوم فجاءه الفضل بن عامر الشيبانىّ فقتله فانتهى اليه شبيب فراه صريعًا فعرفه فقال هذا زهرة بن حَوِيّة اما والله لئن كنتَ قُتلتَ على ضلالة لرُبّ يوم من ايّام المسلمين قد حسُن فيه بلاؤك وعظم فيه عناؤك ولربّ خيل للمشركين هزمتَها وقرية من قراهم حمّ[1] اهلها قد افتتحتَها ثمّ كان فى علم الله انّك تُقْتَل ناصرٌ للظالمين وتوجّع له، فقال له رجل من اصحابه انّك لتتوجّع لرجل كافر فقال انّك لستَ باعرف بضلالتهم منّى ولكنّى اعرف من قديم امرهم ما لا تعرف ما لو تثبّتوا عليه لكانوا اخواننا، فاستمسك شبيب من اهل العسكر والناس فقال ارفعوا السيف ودعاهم الى البيعة فبايعه الناس وهربوا من تحت ليلتهم وحوى ما فى العسكر وبعث الى اخيه قطنه من المدائن، واقام شبيب بعد وقعة بيبت قرّة يومَيْن ثمّ سار نحو الكوفة فنزل بسورا وقتل عاملها، وكان سفيان بن الأبرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة فشدّوا ظهر الحجّاج واستغنى به وبعسكره عن اهل الكوفة فقام على المنبر فقال يا اهل الكوفة لا اعزّ الله مَنْ اراد بكم العزّ ولا نصر من اراد بكم النصر اخرجوا عنّا فلا تشهدوا معنا قتال عدوّنا انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى ولا يقاتل معنا الّا مَنْ لم يشهد قتال عتّاب ۞

---

[1]) C. P. حمر.

Digitized by Google

وتركتموه تسفى فى استه الريح، ثمّ اقبل حتّى جلس فى القلب ومعه زُفَرة بن حَوِيّة جالس وعبد الرحمان بن محمّد بن الاشعث وابو بكر بن محمّد بن ابى جَهْم العَدَوىّ، واقبل شبيب وهو فى ستّمائة وقد تخلّف عنه من اصحابه اربعمائة فقال لقد تخلّف عنّا مَنْ لا احبّ ان يرى فينا فاجعل سويد بن سليم فى مائتين فى الميسرة وجعل المُعَلّل بن وائل فى مائتين فى القلب ومضى هو فى مائتَيْن الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين اضاء القمر فنادام لمَنْ هذه الرايات فقالوا رايات لربيعة قال طالما نصرت الحقّ وطالما نصرت الباطل والله لاجاهدنّكم محتسبًا انا شبيب لا حكم الّا الله للمحكم اثبتوا ان شئتم ثمّ حمل عليهم فغضّتهم فثبت اصحاب رايات قَبيصة بن والق وعُبَيْد بن الحُلَيْس ونُعَيْم بن عُلَيْم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلّها ونادى الناس من بنى ثعلبة قُتل قَبيصة وقال شبيب قتلتموه ومثله كما قال الله تعالى وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا[1] ثمّ وقف عليه وقال وجدك اوثبت على اسلامك الاوّل سعدت وقال لاصحابه انّ هذا اتى رسول الله صلّعم فاسلم ثمّ جاء يقاتلكم مع الغسقة[2]، ثمّ انّ شبيبًا حمل من[3] الميسرة على عتّاب وحمل سويد بن سُلَيْم على الميمنة وعليها محمّد بن عبد الرحمان فقاتلهم فى رجال من تميم وهمدان فما زالوا كذلك حتّى قيل لهم قُتل عتّاب فانفضّوا، ولم يزل عتّاب جالسًا على طنفسة فى القلب ومعه زُفَرة بن حَوِيّة اذ غشيهم شبيب فقال عتّاب يا زُفَرة هذا يوم كثر فيه العدد وقلّ فيه الغنى والهفى على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس الّا صابر لعدوّه الّا مواس بنفسه فانفضّوا عنه وتركوه، فقال زفر احسنتَ يا عتّاب فعلتَ فعلًا مثلك ابشر فانّى ارجو ان يكون الله

---

[1]) Corani 7, vs. 174. [2]) C. P. الكافرين. [3]) C. P. على.

Digitized by Google

الى عتّاب وقال لاصحابه انّى كنتُ عازمًا ان آتى اهل الشام جريدة والقاهم على غرّة قبل ان يتّصلوا بامير مثل للحجّاج ومصر مثل الكوفة فثبّطنى عنهم مطرّف وقد جاءتْنى عيونى فاخبرونى انّ اوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وقد اخبرونى انّ عتّابًا ومَنْ معه بالبصرة فما اقرب ما بيننا وبينه فتيسّروا للمسير الى عتّاب ، وخاف مطرّف بن المغيرة ان يبلغ خبره مع شبيب الى للحجّاج فخرج نحو الجبال ، فارسل شبيب اخاه مصادًا الى المدائن وعقد الجسر واقبل عتّاب اليه حتّى نزل بسوق حَكَمَة وقد خرج معه من المقاتلة اربعون الفًا ومن الشباب والاتباع عشرة آلاف فكانوا خمسين الفًا وكان للحجّاج قد قال لهم حين ساروا انّ للسائر المجتهد الكرامة والاثرة وللهارب الهوان والجفوة والذى لا الٰه غيره لئن فعلتم فى هذه المواطن كفعلتم فى المواطن الاخر لاولينّكم كنفًا خشنًا ولاعركنّكم بكلكل ثقيل ، فلمّا بلغ عتّاب سوق حكمة اتاه شبيب وكان اصحابه بالمدائن الف رجل فحثّهم على القتال وسار بهم فتخلّف عنه بعضهم ثمّ صلّى الظهر بساباط وصلّى العصر وسار حتّى اشرف على عتّاب وعسكره فلمّا رآهم نزل فصلّى المغرب وكان عتّاب قد عبّأ اصحابه فجعل فى الميمنة محمّد بن عبد الرحمان بن سعيد بن قيس وقال يا ابن اخى انّك شريف صابر فقال والله لاصبرنّ ما ثبتت معى انسان وقال لقبيصة بن والق الثعلبىّ اكفنى الميسرة فقال انا شيخ كبير استطيع القيام الّا ان اقام فجعل عليها نُعَيْم بن عُلَيْم وبعث حنظلة بن للحارث اليربوعىّ وهو ابن عمّه وشيخ اهل بيته على الرجّالة وصفّهم ثلاث صفوف صفّ فيهم اصحاب السيوف وصفّ فيهم اصحاب الرماح وصفّ فيهم الرُّماة ثمّ سار فى الناس يحرّضهم على القتال ويقصّ عليهم ثمّ قال اين القصاص فلم يجبه احد ثمّ قال اين مَنْ يروى شعر عنترة فلم يجبه احد فقال انّا لله كانّى بكم قد فررتم عن عتّاب بن ورقاء

Digitized by Google

يضمّه اليه لان عتّابًا طلب من المهلّب ان يرزق اهل الكوفة الذين معه من مال فارس فأبى عليه وجرت بينهما منافرة فكادت تؤدّى الى الحرب فدخل المغيرة بن المهلّب بينهما فاصلح الامر والزم اباه برزق اهل الكوفة فاجابه الى ذلك وكتب يشكو منه، فلمّا ورد كتابه سُرَّ الحجّاج بذلك واستدناه ثمّ جمع الحجّاج اهل الكوفة واستشارهم فيمَنْ يولّيه امر الجيش فقالوا رايك افضل فقال قد بعثتُ الى عتّاب وهو قادم عليكم الليلة او القابلة فقال زُفَر ايّها الامير رميتَهم بحجرهم والله لا نرجع اليك حتّى نظفر او نُقتَل، وقال له قَبيصة بن والق انّ الناس قد تحدّثوا انّ جيشًا قد وصل اليك من الشام وانّ اهل الكوفة قد هُزموا وهان عليهم الفرار فقلوبهم كانّها ليست فيهم فان رايتَ ان تبعث الى اهل الشام ليأخذوا حذرهم ولا يثبتوا الّا وهم محتاطون فانّك تحارب حُوَّلًا قُلّبًا طعانًا رحّالًا وقد جهّزتَ اليهم اهل الكوفة ولستَ واثقًا بهم كلّ الثقة وانّ شبيبًا بينا هو فى ارض اذا هو فى اخرى ولا آمن ان يأتى اهلَ الشام وهم آمنون فان يهلكوا نهلكْ ويهلك العراق، قال له الله ابوك ما احسنَ ما اشرتَ به وارسل الى اهل الشام يحذّرهم ويامرهم ان يأتوا على عين التمر ففعلوا، وقدم عتّاب بن ورقاء تلك الليلة فبعثه الحجّاج على ذلك الجيش فعسكر بحمّام أعين واقبل شبيب حتّى انتهى الى كَلْواذى فقطع فيها دجلة * ثمّ سار حتّى نزل مدينة بَهُرَسير الدنيا فصار بينه وبين مُطَرِّف دجلة[1] وقطع مطرّف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعثْ الىّ رجالًا من وجوه اصحابك ادارسهم القرآن وانظر فيما يدعون اليه، فبعث اليه قَعْنب بن سُوَيْد والمُحَلِّل[2] وغيرهما واخذ منه رهائن الى ان يعودوا فاقاموا عنده اربعة ايّام ثمّ لم يتّفقوا على شىء، فلمّا لم يتبعه مطرّف تهيّأ للمسير

---

[1]) Om. C. P. [2]) R. المجلّل.

Digitized by Google

فاقبل رجل فاقبل نحو المدائن وعليها مُطَرِّف بن المُغيرة بن شُعْبَة فجاء حتّى نزل فقاطر حُذَيْفة بن اليمان فكتب عظيم بابل مهروذ الى الحجّاج بذلك فلمّا قرأ الكتاب قام فى الناس فقال ايّها الناس لتقاتلنّ عن بلادكم وعن فيئكم او لابعثنّ الى قوم هم اطوع واصبر على اللأواء والقيظ منكم فيقاتلون عدوّكم ويأكلون فيئكم، فقام اليه الناس من كلّ جانب ومكان فقالوا نحن نقاتلهم ونعيّب[1] الامير فليدبّر الامير اليهم، وقام اليه زُفَرُ بن حَوِيّة وهو شيخ كبير لا ينتظم قائمًا حتّى يؤخذ بيده فقال اصلح الله الامير انّما تبعث اليهم الناس متقطّعين فاستنفر الناس اليهم كافّة وابعث اليهم رجلًا شجاعًا مجرّبًا ممّن يرى الفرار عضمًا وعارًا والصبر مجدًا وكرمًا، فقال الحجّاج فانت ذلك الرجل فاخرجْ فقال زُفَرُ اصلح الله الامير انّما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح ويهزّ السيف ويثبت على الفرس وانا لا اطيق من هذا شيئًا وقد ضعف بصرى ولكن اخرجْنى مع الغير فى الناس فاكون معه واشير عليه برأيى، فقال الحجّاج جزاك الله خيرًا عن الاسلام واهله فى اوّل امرك وآخره فقد نصحتَ ثمّ قال ايّها الناس سيروا باجمعكم كافّة، فانصرف الناس يتجهّزون ولا يدرون ممّن اميرهم، وكتب الحجّاج الى عبد الملك يُخْبره انّ شبيبًا قد شارف المدائن وانّه يريد الكوفة وقد عجز اهل الكوفة عن قتاله فى مواطن كثيرة بقتل امرائهم وبهزم جنودهم ويطلب اليه ان يبعث اليه جندًا من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد، فلمّا اتى الكتاب بعث اليه عبد الملك سفيانَ بن الأبْرد الكلبىّ فى اربعة آلاف وحَبيب بن عبد الرحمان الحكمىّ فى الفَيْن، فبعث الحجّاج الى عتّاب بن ورقاء الرياحىّ وهو مع المهلّب يستدعيه وكان عتّاب قد كتب الى الحجّاج يشكو من المهلّب ويسأله ان

---

[1]) R. نعتب.

Digitized by Google

قيراطًا ومنها وزن اثنى عشر قيراطًا ومنها وزن عشرة قراريط وفى اصناف المثاقيل فلمّا ضُرب الدراهم فى الاسلام اخذوا عشرين قيراطًا واثنى عشر قيراطًا وعشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين واربعين قيراطًا فضربوا على الثُّلث من ذلك وهو اربعة عشر قيراطًا فوزن الدرهم العربىّ اربعة عشر قيراطًا فصار وزن كلّ عشرة دراهم سبعة مثاقيل، وقيل انّ مصعب بن الزُّبير ضرب دراهم قليلة ايّام اخيه عبد الله بن الزبير ثمّ كُسرت بعد ذلك ايّام عبد الملك والاوّل اصحّ فى انّ عبد الملك اوّل مَنْ ضرب الدراهم والدنانير ☆

ذكر عدّة حوادث،

فى هذه السنة وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك، وفيها ولّى عبد الملك المدينة أبانَ بن عثمان، وفيها وُلد مروان بن محمّد ابن مروان، واقام الحجّ للناس هذه السنة أبان بن عثمان وهو امير المدينة، وكان على العراق الحجّاج وعلى خراسان اميّة بن عبد الله ابن خالد وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أَوْفى، وفيها غزا محمّد بن مروان الروم من ناحية مَلَطْية، وفيها مات حَبَّة بن جُوَيْن العُرَنىّ صاحب علىّ، (حَبَّة بالحاء المهملة وبالباء الموحّدة وهو منسوب الى عُرَنة بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنون) ☆

سنة ٧٧ ثمّ دخلت سنة سبع وسبعين،

ذكر محاربة شبيب عتّاب بن ورقاء وزُفَر بن حَوِيّة وقتلهما،

وفى هذه السنة قتل شبيب عتّابَ بن ورقاء الرياحىّ وزُفَرَ بن حَوِيّة، وسبب ذلك انّ شبيبًا لمّا هزم الجيش الذى كان وجّهه الحجّاج مع عبد الرحمان بن محمّد بن الاشعث وقتل عثمان بن قَطَن كان ذلك فى حرّ شديد واتى شبيب ماه بهرادان فصيّف بها ثلاثة اشهر واتاه ناس كثير ممّنْ يطلب الدنيا وممّنْ كان للحجّاج يطلبهم بمال او يتبعات، فلمّا ذهب الحرّ خرج شبيب فى نحو

Digitized by Google

ذكر ضرب الدراهم والدنانير الاسلاميّة ،

وفى هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم وهو اوّل من احدث ضربها فى الاسلام فانتفع الناس بذلك ، وكان سبب ضربها انّه كتب فى صدور الكتب الى الروم قلْ هو الله احد وذكر النبىّ صلّعم مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم انّكم قد احدثتم كذى وكذى فاتركوه والّا اتاكم فى دنانيرنا من ذكر نبيّكم ما تكرهون ، فعظم ذلك عليه فاحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه فقال حرّمْ دنانيرهم واضربْ للناس سكّة فيها ذكر الله تعالى فضرب الدنانير والدراهم ، ثمّ انّ الحجّاج ضرب الدراهم ونقش فيها قلْ هو الله احد فكره الناس ذلك لمكان القرآن لانّ الجنب والحائض يمسّها ونهى ان يضرب احد غيره فضرب سمير اليهودىّ فاخذه ليقتله فقال له عيار دراهمى اجود من دراهمك فلِمَ تقتلنى فلم يتركه فوضع للناس سنج الاوزان ليتركه فلم يفعل وكان الناس لا يعرفون الوزن انّما يزنون بعضها ببعض فلمّا وضع لهم سمير السنج كفّ بعضهم عن غبن بعض ، واوّل مَنْ شدّد فى امر الوزن وخلّص الفضّة ابلغ من تخليص من قبله عمر بن هُبَيْرة ايّام يزيد بن عبد الملك وجوّد الدراهم وخلّص العيار واشتدّ فيه ، ثمّ كان خالد بن عبد الله القسْرىّ ايّام هشام بن عبد الملك فاشتدّ اكثر من ابن هُبَيْرة ، ثمّ ولى يوسف بن عمر فافرط فى الشدّة فامتحن يومًا العيار فوجد درهمًا بنقص حبّة فضرب كلّ صانع الف سوط وكانوا مائة صانع فضرب فى حبّة مائة الف سوط وكانت الهُبَيْريّة والخالديّة واليوسفيّة اجود نقود بنى اميّة ولم يكن المنصور يقبل فى الخراج غيرها فسُمّيت الدراهم الاولى مكروهة ، وقيل انّ الكروهة الدراهم الّتى ضربها الحجّاج ونقش عليها قلْ هو الله احد فكرهها العلماء لاجل مسّ الجنب والحائض ، وكانت دراهم الاعجام مختلفة كبارًا وصغارًا وكانوا يضربون مثقالًا وهو وزن عشرين

Digitized by Google

القلب وفيه مصاد اخو شبيب فى نحو من ستّين رجلًا فلمّا دنا منهم عثمان شدّ عليهم فيمَنْ معه فصاربوهم حتّى فرقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من وراتهم فما شعر عثمان ومَنْ معه الّا والرماح فى اكتافهم تكبّهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم ايضًا فى خيله ورجع مصاد واصحابه فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن اخسّ[1] قتال ثمّ انّهم احاطوا به وضربه مصاد اخو شبيب ضربة بالسيف استدار لها وقال وكان امر الله مفعولًا ثمّ انّ الناس قتلوه ووقع عبد الرحمان فاتاه ابن ابى سَبْرة الجُعْفىّ وهو على بغله فعرفه فاركبه معه ونادى فى الناس لحقوا بدَيْر ابى مريم ثمّ انطلقوا ذاهبين ورأى واصل السكونىّ فرس عبد الرحمان لمّا اعطاه الجول تجول فى العسكر فاخذها بعض اصحاب شبيب فظنّ انّه قُتل فطلبه فى القتلى فلم يجده فسأل عنه فاعطى خبره فاتبعه واصل على برذونة ومعه غلامه على بغل فلمّا دنا منهما نزل عبد الرحمان وابن ابى سَبْرة ليقاتلا فلمّا رآهما واصل عرفهما وقال انّكما تركتما النزول فى موضعه فلا ينزلا الآن وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه وقال لابن الاشعث قد اتيتك بهذا البرذون لتركبه فركبه وسار حتّى نزل دَيْر البقار وامر شبيب اصحابه فرفعوا السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه وقُتل من كندة يومئذ مائة وعشرون وقُتل معظم العرفاء وبات عبد الرحمان بدير البقار فاتاه فارسان فصعدا اليه فخلا احدهما بعبد الرحمان طويلًا ثمّ نزلا فتبيّن انّ ذلك الرجل كان شبيبًا وقد كان بينه وبين عبد الرحمان مكاتبة وسار عبد الرحمان حتّى اتى دير ابى مريم فاجتمع الناس اليه وقالوا له ان سمع شبيب بمكانك اتاك فكنتَ له غنيمة فخرج الى الكوفة واختفى من الحجّاج حتّى اخذ له الامان منه ☆

---

[1]) C. P. احسن.

Digitized by Google

عثمان حتّى قدم على عبد الرحمان وعسكر الكوفة فوصل عشيّة الثلثاء يوم التروية فنادى الناس وهو على بغلة ايّها الناس اخرجوا الى عدوّكم فوثب اليه الناس وقالوا هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطّنوا انفسهم على الحرب فبت الليلة ثمّ اخرج على تعبية وهو يقول لاناجزنّهم فلتكوننّ الفرصة لى او لهم فاتاه عبد الرحمان فانزله، وكان شبيب قد نزل ببيعة البنّ فاتاه اهلها فقالوا له انت ترحمنّ الضعفاء واهل الذمّة ويكلّمك مَنْ تلى عليه ويشكون اليك فتنظر اليهم وانّ هؤلاء جبابرة لا يكلّمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انّك مقيم فى بيعتنا ليقتلنّنا اذا ارتحلتَ عنّا فان رايتَ ان تنزل جانب القرية ولا تجعل علينا مقالاً فافعلْ، فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية، وبات عثمان ليلته كلّها يحرّض اصحابه فلمّا اصبح يوم الاربعاء خرج بالناس كلّهم فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة شديدة فصاح الناس وقالوا له ننشدك الله ان تخرج بنا والريح علينا، فاقام بهم ذلك اليوم ثمّ خرج بهم يوم الخميس وقد عبّأ الناس فجعل فى الميمنة خالد بن نَهيك بن قيس وعلى الميسرة عَقيل بن شدّاد السلولىّ ونزل هو فى الرجّالة وعبر شبيب النهر اليهم وهو يومئذ فى مائة واحد وثمانين رجلاً فوقف هو فى الميمنة وجعل اخاه مصادًا فى القلب وجعل سُوَيْد بن سُلَيم فى الميسرة وزحف بعضهم الى بعض، وقال شبيب لاصحابه انّى حامل على ميسرتهم ممّا يلى النهر فاذا هزمتُها فليحملْ صاحب ميسرتى على ميمنتهم ولا يبرحْ صاحب القلب حتّى ياتيه امرى، وحمل على ميسرة عثمان فانهزموا ونزل عَقيل بن شدّاد فقاتل حتّى قُتل وقُتل ايضًا مالك ابن عبد الله الهمدانىّ عمّ عَيّاش بن عبد الله المنتوف ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وعليها خالد ابن نَهيك فقاتله قتالاً شديدًا وحمل شبيب من ورائه فقتله، وتقدّم عثمان بن قَطَن وقد نزل معه العرفاء واشراف الناس والفرسان نحو

Digitized by Google

من شبيب واصحابه واعطاه فرسًا كانت له تسمّى الفُسَيْفسا[1] وكانت لا تجارى ثمّ ودّعه عبد الرحمان وسار الى شبيب، فسار شبيب الى دقوقا وشَهْرَزُور فخرج عبد الرحمان فى طلبه حتّى اذا كان بالتخوم وقف وقال هذه ارض الموصل فليقاتلوا عنها، فكتب اليه الحجّاج امّا بعد فاطلب شبيبًا واسلكْ فى اثره اين سلك حتّى تدركه فتقتله او تنفيه فانّما السلطان سلطان امير المؤمنين والجند جنده والسلام، فخرج عبد الرحمان فى اثر شبيب يدعه حتّى يدنو منه فيبيّته فيجده قد خندق على نفسه وحذر فتركه ويسير فيتبعه عبد الرحمان، فاذا بلغ شبيبًا مسيره اتاهم وهم ساترون فيجدهم على تعبية فلا يصيب منه غرّة ثمّ جعل اذا انا دنا منه عبد الرحمان يسير عشرين فرسخًا او ما يقاربها ونزل فى ارض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمان فاذا دنا منه فعل مثل ذلك حتّى عذّب ذلك الجيش وشقّ عليه واحْفى دوابّهم ولقوا منه كلّ بلاء ولم يزل عبد الرحمان يتبعه حتّى مرّ به على خانقين وجلولاء وسامرّا ثمّ اقبل الى البَتّ وهى من قرى الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الّا نهر حَوْلايا وهو فى راذان الاعلى من ارض جُوخى ونزل عبد الرحمان فى عواقيل من النهر لانّها مثل الخندق، فارسل شبيب الى عبد الرحمان يقول انّ هذه الايّام عيد لنا ولكم يعنى عيد النحر فهل لك فى الموادعة حتّى تمضى هذه الايّام، فاجابه الى ذلك وكان بحمّ المطاولة وكتب عثمان بن قَطن الى الحجّاج امّا بعد فانّ عبد الرحمان قد حفر جُوخى كلّها خندقًا واحدًا وكسر خراجها وخلّى شبيبًا يأكل اهلها والسلام، فكتب اليه الحجّاج يامره بالمسير الى الجيش وجعله اميرهم وعزل عنهم عبد الرحمان وبعث الحجّاج الى المدائن مُطَرِّف بن المُغيرة بن شُعْبَة وسار

---

[1]) C. P. الفتق; R. الفيسفا.

Digitized by Google

غير هذا والذى ذُكر من ذلك انّ محمّد بن موسى كان قد شهد مع عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر قتال ابى فُدَيْك وكان شجاعًا ذا بأس فزوّجه عمر ابنته وكانت اخته تحت عبد الملك بن مروان فولّاه سجستان فمرّ بالكوفة وفيها الحجّاج فقيل له ان صار هذا بسجستان مع صهره لعبد الملك فجاء اليه احد ممّن تطلب منعك منه، فقال وما الحيلة قال تاتيه وتسلّم عليه وتذكر نجدته وبأسه وانّ شبيبًا فى طريقه وانّه قد اعياك وترجو ان يريح الله منه على يده فيكون له ذكره وفخره، ففعل الحجّاج ذلك فاجابه محمّد وعدل الى شبيب فارسل اليه شبيب انّك مخدوع وانّ الحجّاج قد اتّقى[1] بك وانت جار لك حقّ فانطلق لما أُمرتَ به ولك الله لا آذيك، فأبى الّا محاربته فوافقه شبيب واعاد اليه الرسول فابى وطلب البراز فبرز اليه البطين بن قَعْنب وسُوَيْد بن سُلَيْم فابى الّا شبيبًا فقالوا ذلك لشبيب فبرز شبيب اليه وقال له انشدك الله فى دمك فانّ لك جوازًا فابى فحمل شبيب عليه فضربه بعود حديد وزنه اثنا عشر رطلًا بالشامىّ فهشم البيضة ورأسه فسقط ميّتًا ثمّ كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره فبعثه الى اهله واعتذر الى اصحابه وقال هو جارى ولى ان اهب ما غنمتُ لاهل الردّة ۞

ذكر محاربة شبيب عبد الرحمان بن محمّد بن الاشعث وقتل عثمان بن قَطَن،

ثمّ انّ الحجّاج دعا عبد الرحمان بن محمّد بن الاشعث وامره ان ينتخب من الناس ستّة آلاف فارس ويسير فى طلب شبيب فان كان ففعل ذلك وسار نحوه وكتب الحجّاج اليه والى اصحابه يتهدّدهم بالقتل والتنكيد[2] ان انهزموا، فوصل عبد الرحمان الى المدائن فاتى الخبر بعوده من جراحته فلوصاه الجزل بالاحتياط وحذّره

---

1) A. et Bodl. ابقى. 2) C. P. والتنكيل.

Digitized by Google

قدامه، فلمّا انتهوا اليه نادى يا اهل الاسلام الارض الارض لا يكونوا على كفرهم اصبر منكم على ايمانكم، فقاتلهم عامّة الليل حتّى كان السحر، ثمّ انّ شبيبًا حمل عليه في جماعة من اصحابه فقتله وقتل اصحابه وتركهم ربضة حوله، ولمّا قُتل زائدة دخل ابو الصُّرَيْس وأُعين جوسقًا عظيمًا وقال شبيب لاصحابه ارفعوا السيف وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر فبايعوه، وكان فيمن بايعه ابو بُرْدَة ابن ابى موسى فقال شبيب لاصحابه هذا ابن احد الحَكَمَيْن فاراد قتله فقال شبيب ما ذنب هذا وتركه وسلّموا على شبيب بامرة المؤمنين وخلّى سبيلهم فبقوا كذلك حتّى انفجر الفجر، فلمّا ظهر الفجر امر محمّد بن موسى مؤذّنه فاذّن وكان لم ينهزم فسمع شبيب الاذان فقال ما هذا قالوا محمّد بن موسى بن طلحة لم يبرح فقال قد ظننتُ انّ حقد وخُيَلاءه يحمله على هذا، ثمّ نزل شبيب فاذّن هو وصلّى باصحابه الصبح ثمّ ركبوا فحملوا على محمّد واصحابه فانهزمت طائفة منهم وثبتت معه طائفة فقاتل حتّى قُتل واخذت الخوارج ما كان في العسكر وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيبًا فلم يبق منهم احد، ثمّ اتى شبيب الجوسق الذى فيه أُعين وابو الصُّرَيْس فتحصّنوا منه فاقام عليهم تلك اليوم وسار عنهم، فقال اصحابه ما دون الكوفة احد يمنع فنظر واذا اصحابه قد جُرحوا فقال لهم ما عليكم اكثر ممّا فعلتم فخرج بهم على نِفَّر ثمّ على الصراة فاتى خانيجار فاقام بها، فبلغ الحجّاجَ مسيره نحو نِفَّر فظنّ انّه يريد المدائن وهى باب الكوفة ومَنْ اخذها كان فى يده من السواد اكثر فهال ذلك الحجّاجَ فبعث عثمان بن قَطَن اميرًا على المدائن وجُوخى والانبار وعزل عنها عبد الله ابن ابى عُصَيْفِر وكان بها الجزل يداوى جراحته فلم يتعمّده عثمان كما كان ابن ابى عُصَيْفِر يفعل فقال الجزل اللهمّ زِد ابن ابى عصيفر جودًا وفضلًا وزِدْ عثمان بن قطن بخلًا وشقًا، وقد قيل فى مقتل محمّد بن موسى

على اربعة وعشرين فرسخًا من الكوفة فقصدهم فارسل اليهم الحجّاج يُعْلمهم بمسيره ويقول لهم انّ امير الجماعة زائدة بن قُدامة، وانتهى اليهم شبيب وقد تعبّوا للحرب فكان على ميمنة اهل الكوفة زياد ابن عمرو العَتَكيّ وفى ميسرتهم بشر بن غالب الاسدىّ وكلّ امير واقف فى اصحابه واقبل شبيب على فرس كميت اغرّ فى ثلاث كتائب كتيبة فيها سُوَيْد بن سُلَيْم فوقف بازاء الميمنة وكتيبة فيها مصاد اخو شبيب فوقف بازاء الميسرة ووقف شبيب مقابل القلب، فخرج زائدة بن قُدامة يسير فى الناس ويحثّهم على الجهاد لعدوّهم والقتال ويُطْمعهم فى عدوّهم لقلّته وباطله وكثرتهم وانّهم على الحقّ ثمّ انصرف الى موقفه فحمل سُوَيْد بن سُلَيْم على زياد بن عمرو فانكشفوا وثبت زياد فى نحو من نصف اصحابه ثمّ ارتفع عنهم سويد قليلًا ثمّ حمل عليهم ثانية فتطاعنوا ساعة وصبر زياد ساعة وقاتل زياد قتالًا شديدًا وقاتل سويد ايضًا قتالًا شديدًا وانّه لاشجع العرب، ثمّ ارتفع سويد عنهم فاذ اصحاب زياد يتفرّقون فقال لسويد اصحابه الا تراهم يتفرّقون احمَلْ عليهم فقال لهم شبيب خلّوهم حتّى يخفّوا فتركهم قليلًا ثمّ حمل الثالثة فانهزموا واخذت زياد بن عمرو السيوف من كلّ جانب فما ضرّه منها شىء لبسة الله عليه ثمّ انّه انهزم وقد جُرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء، ثمّ حملوا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزموه ولم يقاتل كثيرًا ولحق بزياد بن عمرو فمضيا منهزمين وحملت الخوارج حتّى انتهت الى محمّد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلوه قتالًا شديدًا وصبر لهم ثمّ انّ مصادًا اخا شبيب حمل على بشر بن غالب وهو فى ميسرة اهل الكوفة فصبر بشر ونزل ونزل معه نحو خمسين رجلًا فقاتلوا حتّى قُتلوا عن آخرهم وانهزم اصحابه، وحملت الخوارج على ابى الصَّرِيْص مولى بنى تميم وهو يلى بشر بن غالب فهزموه حتّى انتهى الى موقف اعين فهزموهما حتّى انتهوا بهما الى زائدة بن

عمرو العَتَكيّ، وكان عبد الملك بن مروان قد استعمل محمّد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله على سجستان وكتب الى الحجّاج ليجهّزه ويسيّره سريعًا فى الف رجل الى عمله فاقام يتجهّز وحدث من امر شبيب ما حدث فقال له الحجّاج تلقى شبيبًا وهذه الخارجة فتجاهدهم ويكون الظفر لك ويطير اسمك ثمّ تمضى الى عملك، فسيّره معهم وقال لهؤلاء الامراء ان كان حرب فاميركم زائدة بن قُدامة، فسار هؤلاء الامراء فنزلوا اسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذى هم فيه واخذ نحو القادسيّة ☆

ذكر محاربة شبيب زَحْر بن قيس،

ووجّه الحجّاج جريدة خيل نقاوة الف وثمانمائة فارس مع زَحْر ابن قيس وقال له اتبعْ شبيبًا حتّى تواقعه اين ادركتَهُ الّا ان يكون ذاهبًا فاتركْه ما لم يعطف عليك او يقيم، فخرج زحر حتّى انتهى الى السَّيْلحين واقبل شبيب نحوه فالتقيا فجمع شبيب خيله ثمّ اعترض بهم الصفّ حتّى انتهى الى زحر فقاتل زحر حتّى صُرع وانهزم اصحابه وظنّوا انّهم قتلوه فلمّا كان السحر واصابه البرد قام يتمشّى حتّى دخل قرية فبات بها وحُمل منها الى الكوفة وبوجهه وبرأسه بضعة عشر جراحة فمكث ايّامًا ثمّ اتى الحجّاجَ فاجلسه معه على السرير وقال لمَنْ حوله مَنْ اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنّة يمشى بين الناس وهو شهيد فلينظرْ الى هذا ☆

ذكر محاربة الامراء المقدّم ذكرهم وقتْل محمّد بن موسى بن طلحة،

فلمّا هُزم اصحاب زحر قال اصحاب شبيب لشبيب قد هزمنا لهم جندًا انصرفْ بنا الآن وافرين، فقال لهم هذه الهزيمة قد ارعبت هؤلاء الامراء والجنود الذين فى طلبكم فاقصدوا بنا نحوهم فوالله لئن قاتلناهم ما دون الحجّاج مانع وناخذ الكوفة ان شاء الله تعالى، فقالوا نحن لرايك تبع، فسار وسأل عن الامراء فأُخْبر انّهم بِرُوذبار

Digitized by Google

عبدٌ دقّى من ثمود اصلُهُ لا بل يقال ابو ابيهم يَقْدُم

يعنى الحجّاج فانّ بعض الناس يقول انّ ثقيفًا بقايا ثمود ويعضهم يقول هم من نسل يَقْدُم الايادىّ، ثمّ اقتحموا المسجد الاعظم وكان لا يزال فيه قوم يصلّون فقتلوا عَقيل بن معقب الوادعىّ وعدىّ ابن عمرو الثقفىّ وابا ليث بن ابى سُلَيْم ومرّوا بدار حَوْشب وهو على الشرط فقالوا انّ الامير يطلبه فاراد الركوب ثمّ انكروهم فلم يخرج اليهم فقتلوا غلامه ثمّ اتى الحجّاف بن نبيط الشيبانى فقال له انزل لنقصبك ثمن البكرة لك اشتريتُ منك بالبادية، فقال الحجّاف ما ذكرتك امانيك الّا والليل اظلم وانت على فرسك يا سويد قبّح الله دينًا لا يصلح الّا بارافة الدماء وقتل القرابة، ثمّ مرّوا بمسجد [1] ذُهْل فراوا ذُهْل بن الحارث وكان يُطيل الصلوة فيه فقتلوه ثمّ خرجوا من الكوفة فاستقبلهم النضر بن قَعْقاع بن شُور الذُّهْلىّ فقال له السلام عليك ايّها الامير فقال له سويد امير المؤمنين ويلك فقال امير المؤمنين فقال له شبيب يا نضر لا حكم الّا لله واراد باذنه فقال انّا لله وانّا اليه راجعون فشدّ اصحاب شبيب عليه فقتلوه وكان قد اقبل مع الحجّاج من البصرة فتخلّف عنه، وكانت امّ النضر ناجية بنت عامر بن قَبيصة الشيبانىّ احبّ شبيب نجاته ثمّ خرجوا نحو الرذمة وامر الحجّاج مناديًا فنادى يا خيل الله اركبى وهو فوق باب القصر وعنده مصباح فكان اوّل مَنْ اتاه عثمان ابن قَطن بن عبد الله بن الحُصَيْن ذى الغصّة فقال اعلموا الامير بمكانى فقال له غلام للحجّاج قف بمكانك وجاء الناس من كلّ جانب، ثمّ انّ الحجّاج بعث بشر بن غالب الاسدىّ فى الفَىْ رجل وزائدة بن قُدامة الثقفىّ فى الفَىْ رجل * وابا العُرَيْس مولى بنى تميم فى الفَىْ رجل [2] وعبد الاعلى بن عبد الله بن عامر وزياد بن

---

[1]) R. add. بنى [2]) Om. C. P.

Digitized by Google

حتّى اغار اسفل الفرات على مَنْ وجد من قومه وارتفع فى البرّ وراء خَفّان فاصاب رجالًا من بنى الوَرْثة فقتل منهم ثلاثة عشر رجلًا منهم حنظلة بن مالك[1] ومضى شبيب حتّى اتى بنى اميّة على اللصف[2] وعلى ذلك الماء الغِزْر[3] بن الاسود وهو احد بنى الصلت وكان ينهى شبيبًا عن رايه وكان شبيب يقول لئن ملكت سبعة اعنّة لاغزونّ الغزر فلمّا بلغهم خبر شبيب ركب الغزر فرسًا وخرج من وراء البيوت وانهزم منه الرجال ورجع وقد اخاف اهل البادية فاخذ على القُطْقُطانة ثمّ على قصر بنى مقاتل ثمّ على الحَصّامة ثمّ على الانبار ومضى حتّى دخل دَقُوقا ثمّ ارتفع الى ادانى اذربيجان، فلمّا ابعد سار الحجّاج الى البصرة واستخلف على الكوفة عُرْوَة بن المُغيرة بن شُعْبَة، فما شعر النـاس الّا وقـد اتاهم كتاب دهقان بابل مهرُوذ الى عروة يذكر له انّ بعض جُبـاة الخراج اخبره ان شبيبًا قد نزل خانيجار وهو على قصد الكوفة فارسل عروة الكتاب الى الحجّاج بالبصرة فاقبل مجدًّا نحو الكوفة يسابق شبيبًا اليها *

ذكر دخول شبيب الكوفة،

واقبل شبيب الى قرية اسمها حَرْبَى فقال حربٌ يصلّى به عدوّكم ثمّ سار فنزل عَقرقـوف فقال له سُوَيْد بن سُلَيم يا امير المؤمنين اوتحوّلتَ من هذه القرية المشؤمة الاسم، قال وقد تطيّرتُ ايضًا والله لا اسير الى عدوّى الّا منها انّما شؤمها على عدوّنا والعقر لهم ان شاء الله، ثمّ سار منها يبادر الحجّاج الى الكوفة وكانت كتب عروة ترد عليه اعنى الحجّاج يحثّه على العجل اليهم فطوى الحجّاج المنازل فنزلها الحجّاج صلوة العصر ونزل شبيب بالسَّبْاخة صلوة المغرب فاكلوا شيئًا ثمّ ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق وضرب شبيب باب القصر بعموده فاثّر فيه أثرًا عظيمًا ثمّ وقف عند المصطبة وقال

[1]) C. P. add. ومالك بن حنظلة. [2]) R. النصف. [3]) Variat nominis scriptura sic: الغزر, الغرز, الفزر.

القتلى جريحًا وقدم المنهزمون الكوفة وكتب المنزل الى الحجّاج بالخبر ويُخبره بقتل سعيد واقام بالمدائن وكتب اليه الحجّاج يثنى عليه ويشكره وارسل اليه حيّان بن أَبْجَر ليداوى جراحته والفَىْ درهم لينفقها وبعث اليه عبد الله بن عُصَيْفر بالف درهم فكان يعوده ويتعاهده بالهديّة، وسار شبيب نحو المدائن فعلم انّه لا سبيل الى اهلها مع المدينة فاقبل حتّى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليها فارسل الى سورى بغداذ فآمنهم وكان يوم سوقهم وبلغه انّهم يخافونه واشترى اصحابه دوابّ واشياء يريدونها ☆

ذكر مسير شبيب الى الكوفة،

ثمّ سار شبيب الى الكوفة فنزل عند حمّام عُمَيْر بن سعد فلمّا بلغ الحجّاجَ مكانه بعث سُوَيْد بن عبد الرحمان السعدىّ فى الفَىْ رجل اليه وقال له الق شبيبًا فان استطرد لك فلا تتبعه، فخرج وعسكر بالسَّبْخة فبلغه انّ شبيبًا قد اقبل فسار نحوه فكانّما يُساقون الى الموت فامر الحجّاج عثمانَ بن قَطن فعسكر بالناس فى السَّبْخة وسار سويد الى زُرارة فهو يعبّئ اصحابه اذ قيل قد اتاك شبيب فنزل ونزل معه جلّ اصحابه فأُخْبر انّ شبيبًا قد تركك وعبر الفرات وهو يريد الكوفة من وجه آخر فنادى فى اصحابه فركبوا فى آثارهم وبلغ مَنْ بالسبخة مع عثمان اقبال شبيب اليهم فصلح بعضهم ببعض وهمّوا ان يدخل الكوفة حتّى قيل لهم انّ سُوَيْدًا فى آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم وحمل شبيب على سُوَيْد ومَنْ معه حملة منكرة فلم يقدر منهم على شىء واخذ على بيوت الكوفة نحو الجبّانة وذلك عند المساء وتبعه سويد الى الجبّانة فرآه قد ترك الجبّانة وذهب فتركه سويد واقام حتّى اصبح وارسل الى الحجّاج يُعلمه بمسير شبيب ☆

ذكر محاربة شبيب اهل البادية،

وكتب الحجّاج الى سويد يامره باتباعه فاتبعه ومضى شبيب

Digitized by Google

يظفر بهم فنزل على ميل ونصف ثمّ صلّى الغداة ثمّ سار الى جَرْجرايا، واقبل الجزل فى طلبهم على تعبية ولا ينزل الّا فى خندق، وسار شبيب فى ارض جُوخى وغيرها يكسر الخراج فطال ذلك على الحجّاج فكتب الى الجزل يُنْكر عليه ابطاءه ويامره بمناهضتهم فجدّ فى طلبهم وبعث الحجّاج سعيد بن مُجالد على جيش الجزل وامره بالجدّ فى قتال شبيب وتركْ المطاولة، فوصل سعيد الى الجزل وهو بالنهروان قد خندق عليه وقلم فى العسكر ووتّخهم وعجّزهم ثمّ خرج واخرج معه الناس وضمّ اليه خيول اهل العسكر ليسير بهم جريدة الى شبيب ويترك الباقين مكانهم فقال له الجزل ما تريد تصنع قال اقدم على شبيب فى هذه الخيل فقال له الجزل اقمْ انت فى جماعة الناس فارسهم وراجلهم وابرزْ لهم فوالله ليقدمنّ عليك ولا تفرّق اصحابك، فقال قفْ انت فى الصفّ، فقال الجزل يا سعيد ليس لى فى ما صنعتَ راى انا برئ منه، ووقف الجزل فصفّ اهل الكوفة وقد اخرجهم من الخندق، وتقدّم سعيد بن مُجالد ومعه الناس وقد اخذ شبيب الى قطيطيا فدخلها وامر دهقانًا ان يصلح لهم غداء ففعل واغلق الباب فلم يفرغ من الغداء حتّى اتاه سعيد فى ذلك العسكر فاقبل الدهقان فاعلم شبيبًا بهم فقال بهم لا بأس قرّب الغداء فقرّبه فأكلوا وتوضّأ وصلّى ركعتَيْن وركب بغاله وخرج عليه وسعيد على باب المدينة فحمل عليهم فقال لا حكم الّا للحكم انا ابو بدلة اثبتوا ان شئتم، وجعل سعيد يقول هؤلاء انّما هم اكلة رأس وجعل يجمع خيله ويرسلها فى اثر شبيب فلمّا راى شبيب تفرّقهم جمع اصحابه وقال استعرضوهم فوالله لاقتلنّ اميرهم او ليقتلنى، وحمل عليهم مستعرضًا فهزمهم وثبت سعيد ونادى اصحابه فحمل عليه شبيب فضربه بالسيف فقتله وانهزم ذلك الجيش وقُتلوا حتّى انتهوا الى الجزل فناداهم ايّها الناس انّى انى وقاتل قتالًا شديدًا حتّى حُمل من بين

Digitized by Google

فيخرج من رستاق الى رستاق ولا يقيم ارادة ان يفرّق الجزل اصحابه فيلقاه وهو على غير تعبية، فجعل الجزل لا يسير الّا على تعبية ولا ينزل الّا خندق على نفسه، فلمّا طال ذلك على شبيب دعا اصحابه وكانوا مائة وستّين رجلًا ففرّقهم اربع فرق على كلّ اربعين رجل من اصحابه فجعل اخاه مصادًا فى اربعين وسُوَيْد بن سُلَيْم فى اربعين والمُحَلّل بن وائل فى اربعين وبقى هو فى اربعين واتته عيونه فاخبروه انّ الجزل بدَيْر يزدجرد فامر شبيب اصحابه فعلقوا على دوابّهم ثمّ سار بهم وامر كلّ رأس من اصحابه ان ياتى الجزل من جهة ذكرها له وقال انّى اريد ان ابيّته وامرهم بالجدّ فى القتال فسار اخوه فانتهى الى دَيْر الحرارة فراى للجزل مسلحة مع ابن انى لُبْنة فحمل عليهم مصاد فى اربعين رجلًا فقاتلوه ساعة ثمّ اندفعوا بين يديه وقد ادركهم شبيب فقال اركبوا اكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم ان استطعتم، واتبعوهم ملحّين فانتهوا الى عسكرهم فمنعهم اصحابه من دخول خندقهم وكان للجزل مسالح اخرى فرجعت فنعتهم من دخول الخندق وقال انصحوا عنكم بالنبل وجعل شبيب يحمل على المسالح حتّى اضطرّهم الى الخندق ورشقهم اهل العسكر بالنبل، فلمّا راى شبيب انّه لا يصل اليه قال لاصحابه سيروا ودَعوهم نحى على الطريق ثمّ نزل هو واصحابه فاستراحوا ثمّ اقبل بهم راجعًا الى الجزل ايضًا على التعبية الاوّلة وقال اطيفوا بعسكرهم فاقبلوا وقد ادخل اهل العسكر مسالحهم اليهم * وقد امنوا فما شعروا الّا بوقع حوافر الخيل فانتهوا اليهم [1] قبل الصبح واحاطوا بعسكرهم من جهاته الاربع فقاتلوهم، ثمّ انّ شبيبًا ارسل الى اخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن اقبلْ الينا وخلِّ لهم الطريق ففعل وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتّى اصبحوا فسار شبيب وتركهم ولم

---

[1]) Om. C. P.

Digitized by Google

وترحّموا على اصحابهم الـذين قتلهم علىٌّ وتبرّوا من علىّ واصحابه ، واخبرتْ سَوْرةَ عيونه بمنزل شبيب فدعا اصحابه فقال انّ شبيبًا لا يزيد على مائة رجـل وقد رايتُ ان انتخبكم فاسير فى ثلاثمائة رجل من شجعانكم فآتيه وهو آمن ببياتكم فانّى ارجو من الله ان يصرعهم ، فاجابوه الى ذلك فانتخب ثلاثمائة وسار بهم نحو النهروان وبات شبيـب وقـد اذكى الحرس فلمّا دنا اصحاب سورة علموا بهم فاستووا على خيولهم وتعبّوا تعبيتهم للحرب فلمّا انتهى اليهم سورة رأى قد حذروا فحمل عليهم فثبتوا له وضاربوهم وصاح شبيب باصحابه فحملوا عليهم حتّى تركوا العرضة وشبيب يقول

من نيّك العير فنكٌ نياكا جندلتان آصطكتا اصطكاكا ،

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان واهـل القوّة فتحمّل بهم واقبل نحو المدائن واتبعه شبيب مرجوًّا ان يدركه فيصيب عسكره ، فوصـل اليهم وقـد دخـل الناس المدائـن وخرج ابن ابى العُصَيْفر امير المدائن فى اهل المدائن فرموا اصحاب شبيب بالنبل والحجارة فارتفع شبيب عن المدائن فمرّ على كَلواذى فاصاب بها دوابّ كثيرةً للحجّاج فاخذها ومضى الى تكْريت وارجف الناس بالمدائن بوصول شبيـب اليهم فهرب مَنْ بهـا من الجند نحو الكوفـة وكان شبيب بتكْريت ولام الحجّاج سورة وحبسه ثمّ اطلقه ☆

ذكر الحرب بين شبيب والجَزْل ابن سعيد وقتل سعيد بن مُجالد ،

فلمّا قدم الفلُّ الكوفةَ سيّر الحجّاج الجَزْل ابن سعيد بن شُرَحْبيل الكنـدىّ واسمه عثمان نحو الشبيب واوصاه بالاحتياط وتَرْك العَجَلة فقال له لا تبعثْ معى من الجند المهزوم احدًا فانّهم قد دخلهم الرعب ولا ينتفع بهم المسلمون ، قال قـد احسنتَ فاخرج معه اربعة آلاف فساروا معه فقدّم الجزل بين يديه عياضَ بن ابى لُبْنة الكندىّ فساروا فى طلب شبيب وجـعـل شبيـب يُريـه الهيبة له

Digitized by Google

المناظر ثمّ يسير الى شبيب، فاقام بالدسكرة ونودى فى جيش الحارث الحرب بالكوفة والمدائن فخرجوا حتّى اتوا سفيان واتته خيل المناظر عليهم سَوْرة بن الحُرّ[1] التميمىّ فكتب اليه سورة بالتوقّف حتّى يلحقه فعجّل سفيان فى طلب شبيب فلحقه بخانقين وارتفع شبيب عنهم حتّى كانّه يكره قتالهم واكمن اخاه مصادًا فى هرم من الارض فى خمسين رجلًا فارسًا ومضى فى سفح الجبل فقالوا هرب عدوّ الله فاتبعوه فقال لهم معدىّ بن عميرة الشيبانىّ لا تعجّلوا حتّى نبصر الارض لئلّا يكون قد كمّن فيها كمينًا، فلم يلتفتوا فاتبعوه فلمّا جاوزوا الكمين رجع عليهم شبيب وخرج اخوه فى الكمين فانهزم الناس بغير قتال وثبت سفيان فى نحو من مائتىْ رجل فقاتلهم قتالًا شديدًا وحمل سُوَيْد بن سُلَيْم على سفيان فطاعنه ثمّ تضاربا بالسيوف واعتنق كُلّ واحد منهما صاحبه فوقعا الى الارض، ثمّ تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا واتى سفيانَ غلام له فنزل عن دابّته واركبه وقاتل دونه فقُتل الغلام ونجا سفيان حتّى انتهى الى بابل مهرُذ وكتب الى الحجّاج بالخبر ويعرّفه وصول الجند الّا سَوْرة بن الحُرّ فانّه لم يشهد معى القتال فلمّا قرأ الحجّاج الكتاب اثنى عليه ☆

ذكر الوقعة بين شبيب وسَوْرة بن الحُرّ

فلمّا وصل كتاب سفيان الى الحجّاج كتب الى سورة بن الحرّ يلومه ويتهدّده ويامره ان ينتخب من المدائن خمسمائة فارس ويسير بهم ومَنْ معه الى شبيب، ففعل ذلك سَوْرة وسار نحو شبيب وشبيب يجول فى جُوخى وسورة فى طلبه حتّى انتهى الى المدائن فتحصّنوا منه واخذ منها دوابّ وقتل مَنْ ظهر له فاتى فقيل له هذا سورة قد اقبل فخرج حتّى اتى النهروان فصلّوا

---

1) R. اجر.

Digitized by Google

شيبان ومعهم ناس من غيرهم قليل حتّى نزلوا ذَيْرًا خربًا[1] الى جنب حَوْلايا وهم نحو ثلاثة آلاف وشبيب فى نحو سبعين رجلًا او يزيدون قليلًا فنزل بهم فتحصّنوا منه، ثمّ انّ شبيبًا اسرى فى اثنى عشر رجلًا الى امّه وكانت فى صفح جبل ساتيدما فقال لاتبيّ بما يكون فى عسكرى لا تفارقنى حتّى تموت او اموت، فسار بهم ساعة واذا هو بجماعة من بنى شيبان فى اموالهم مقيمين لا يرون ان شبيبًا يمرّ بهم ولا يشعر بهم فحمل عليهم فقتل ثلاثين شيخًا فيهم حَوْثرة بن اسد ومضى شبيب الى امّه فحملها واشرف رجل من الدير على اصحاب شبيب وكان قد استخلف شبيب عليهم اخاه مصاد بن يزيد وهم قد حصروا مَنْ فى الدير فقال يا قوم بيننا وبينكم القرآن قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتّى يسمع كلام الله ثمّ ابلغه مامنه فكفّوا عنّا حتّى نخرج اليكم على امان وتعرضوا علينا امركم فان قبلناه حرمتْ عليكم دماؤنا واموالنا وان نحن لم نقبله رددتمونا الى مامننا ثمّ رايتم رايكم، فاجابوه فخرجوا اليهم فعرض عليهم اصحاب شبيب قولهم فقبلوه كلّه ثمّ خالطوه ونزلوا اليهم وجاء شبيب فاخبروه بذلك فقال اصبتم ووفقتم ☆

ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان النَخْنَعىّ

ثمّ انّ شبيبًا ارتحل فخرج معه طائفة واقامت طائفة وسار شبيب فى ارض الموصل نحو الزيبجان وكتب الحجّاج الى سفيان ابن ابى العالية النخنعىّ يامره بالقفول وكان معه الف فارس يريد ان يدخل بها طبرستان، فلمّا اتاه كتاب الحجّاج صالح صاحب طبرستان ورجع فامره الحجّاج بنزول الدسكرة حتّى ياتيه جيش الحارث بن عميرة الهمدانىّ وهو الذى قتل صالحًا حتّى تاتيه خيل

---

[1]) C. P. جرداب.

Digitized by Google

واخرجوا بنا حتّى نشدّ عليهم فى عسكرهم فانّهم آمنون، فبايعوا شبيبًا وهو شبيب بن يزيد بن نُعَيْم الشيبانىّ واتوا باللبود فبلّوها وجعلوها على جمر الباب وخرجوا فلم يشعر الحارث الّا وشبيب واصحابه يضاربونهم بالسيوف فى جوف العسكر فصُرع الحارث فاحتمله اصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم وكان ذلك الجيش اوّل جيش هزمه شبيب ☆

ذكر الحرب بين اصحاب شبيب وغيره،

ثمّ انّ شبيبًا لقى سَلامة بن سِنان التيمىّ تيم شيبان بارض الموصل فدعاه الى الخروج معه فشرط عليه سلامة ان ينتخب ثلاثين فارسًا ينطلق بهم نحو عَنزة فيشفى نفسه منهم فانّهم كانوا قتلوا اخاه فَصالة وذلك انّ فصالة كان خرج فى ثمانية عشر رجلًا حتّى نزل ماء يقال له الشجرة عليه اثلة عظيمة وعليه عنزة نازلون فلمّا راوه قالوا نقتل هؤلاء ونغدوا على اميرنا فيُعْطينا شيئًا فقال اخواله من بنى نصر لا نساعدكم على قتل ابن اخينا فنهضت عنزة فقتلوهم وأتوا برؤوسهم عبدَ الملك بن مروان فلذلك انزلهم بانقيا وفرض لهم ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض الّا قليلة، فقال سلامة اخو فصالة يذكر قتل اخيه وخذلان اخواله اياه

وما خلتْ اخوالَ الفتى يُسْلمونه لوقع السلاح قبل ما فعلتْ نصر،

وكان خروج فصالة قبل خروج صالح، فاجابه شَبيب فخرج حتّى انتهى الى عَنزة فجعل يقتل محلّة بعد محلّة حتّى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته قد اكبّت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فاخرجت ثديها وقالت انشدك برحم هذا يا سلامة فقال والله ما رايت فَصالة مذ اناخ باصل الشجرة يعنى اخاه لتقومنّ عنه او لاجمعنّكما بالرمح فقامت عنه فقتله ☆

ذكر مسير شَبيب الى بنى شيبان وايقاعه بهم،

ثمّ اقبل شبيب فى خيله نحو راذان فهرب منه طائفة من بنى

Digitized by Google

وطاردهم خيّالتهم فقاتلوهم الى المساء فكثرت الجراح فى الفريقين وقُتل من اصحاب صالح نحو ثلاثين رجلًا ومن اصحاب محمّد اكثر من سبعين، فلمّا امسوا تراجعوا فاستشار صالح اصحابه فقال شبيب انّ القوم قد اعتصموا بخندقهم فلا ارى ان نقيم عليهم، فقال صالح وانا ارى ذلك فخرجوا من ليلتهم سائرين فقطعوا ارض الجزيرة وارض الموصل وانتهوا الى الدّسْكرة، فلمّا بلغ ذلك للحجّاج سرّح اليهم الحارث بن عميرة[1] بن ذى الشعار[2] فى ثلاثة آلاف من اهل الكوفة فسار حتّى دنا من الدسكرة وخرج صالح بن مُسرّح حتّى اتى قرية يقال لها مدبج على تخوم ما بين الموصل وجُوخى وصالح فى تسعين رجلًا فلقيهم الحارث لثلاث عشرة بقين من جمادى فاقتتلوا فانهزم سويد بن سليم فى ميسرة صالح وثبت صالح فقُتل وقاتل شبيب حتّى صُرع عن فرسه فحمل عليهم راجلًا فانكشفوا عنه فجاء الى موقف صالح فاصابه قتيلًا فنادى انىّ يا معشر المسلمين فلاذوا به فقال لاصحابه ليجعلْ كلُّ واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوّه حتّى يدخل هذا الحصين ونرى رأينا، ففعلوا ذلك ودخلوا الحصين جميعهم وهم سبعون رجلًا واحاط بهم الحارث واحرق عليهم الباب وقال انّهم لا يقدرون على الخروج منه، (مُسَرّح بضمّ الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة، وجَعْوَنة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو وآخره النون) ❀

ذكر بيعة شَبيب للخارجى ومحاربة الحارث بن عميرة[1]،

فلمّا احرق الحارث الباب على شبيب ومَنْ معه وقال انّهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبّحهم غدًا فنقتلهم وانصرف الى عسكره قال شبيب لاصحابه ما تنتظرون فوالله لين صبحكم هؤلاء غدوة انّه لهلاككم، فقالوا مُرْنا بامرك فقال بايعونى او مَنْ شئتم من اصحابكم

---

1) C. P. عمير. 2) C. P. المشعان ; A. المسعان.

Digitized by Google

فاحتملوا عليها واقاموا بارض دارا ثلاث عشرة ليلة، وتحصّنوا منهم اهلها واهل نصيبين وسنجار وكان خروجه وهو فى مائة وعشرين وقيل وعشرة، وبلغ محمّدًا مخرجهم وهو امير الجزيرة فارسل عدىّ ابن عدىّ الكندىّ اليهم فى الف فارس فسار من حرّان فنزل دَوْغان وكانوا اوّل جيش سار الى صالح وسار عدىّ وكانّه يُساق الى الموت، وارسل الى صالح يسأله ان يخرج من هذه البلاد ويُعْلمه انّه يكره قتاله وكان عدىّ ناسكًا فاعاد صالح ان كنتَ ترى راينا خرجنا عنك والّا فنرى راينا، فارسل اليه عدىّ انّى لا ارى رايك ولكنّى اكره قتالك وقتال غيرك، فقال صالح لاصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرسول عنده ومضى باصحابه فاتى عدىًّا وهو يصلّى الضحى فلم يشعروا الّا والخيل طالعة عليهم فلمّا راوها تنادوا وجعل صالح شبيبًا فى ميمنته وسُوَيْد بن سُلَيْم فى ميسرته ووقف فى القلب فاتاهم وهم على غير تعبية وبعضهم يحول فى بعض فحمل عليهم شبيب وسويد فانهزموا وأُتى عدىٌّ بن عدىّ بدابّته فركبها وانهزم وجاء صالح ونزل فى معسكره واخذوا ما فيه، ودخل اصحاب عدىّ على محمّد بن مروان فغضب على عدىّ ثمّ دعا خالد بن جزء[1] السُّلَمىّ فبعثه فى الف وخمسمائة ودعا لحارث بن جَعْوَنة العامرىّ[2] فبعثه فى الف وخمسمائة وقال اخرجا الى هذه المارقة واغذّا السير فايّكما سبق فهو الامير على صاحبه، فخرجا متساندين يسألان عن صالح فقيل لهما انّه نحو آمد فقصداه فوجّه صالح شبيبًا فى شطر من اصحابه الى لحارث بن جَعْوَنة وتوجّه هو نحو خالد فاقتتلوا من وقت العصر اشدّ قتال فلم تثبتْ خيل محمّد لخيل صالح فلمّا راى امبراهم ذلك ترجّلا وترجل معهما اكثر اصحابهما فلم يقدر اصحاب صالح حينئذ عليهم وكانوا اذا حملوا استقبلتْهم الرجّالة بالرماح ورماهم الرُّماة بالنبل

---

[1]) A. حزء; R. خرء. [2]) R. الحجارى.

Digitized by Google

السنة مات العرباض بن سارية السُّلَمىّ وهو من اهل الصفّة وقيل بل مات بالشام فى فتنة ابن الزبير، وفيها توفّى الاسود بن يزيد النَّخَعىّ وهو ابن اخى علقمة بن قيس ☆

سنة ٧٦ ثمّ دخلت سنة ستّ وسبعين،

ذكر خروج صالح بن مسرّح

كان صالح بن مسرّح التميمىّ رجلًا ناسكًا مصفرّ الوجه صاحب عبادة وكان بدارا وارض الموصل والجزيرة وله اصحاب يقرأ بهم القرآن والفقه ويقصّ عليهم فدعاهم الى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين لهم فاجابوه وحثّهم عليهم فراسل اصحابه بذلك وتلاقوا فيه فبينما هم فى ذلك اذ قدم عليه كتاب شَبيب يقول له انّك كنتَ تريد الخروج فان كان ذلك من شأنك اليوم فانت شيخ المسلمين ولن نعدل بك احدًا وان اردتَّ تأخير ذلك اعلمْنى فانّ الآجل غادية ورائحة ولا آمن ان تختر منّى المنية ولم اجاهد الظالمين، فكتب اليه صالح انّه لم يمنعنى من الخروج الّا انتظارك فاقبلْ الينا فانّك ممّنْ لا يستغنى عن رايه ولا تُقْضَى دونه الامور، فلمّا قرأ شبيب كتابه دعا نفرًا من اصحابه منهم اخوه مصاد بن يزيد بن نُعَيْم الشيبانىّ والحلّل بن وائل اليشكرىّ وغيرهما وخرج بهم حتّى قدم على صالح بدارا فلمّا لقيه قال اخرجْ بنا رحمك الله فوالله ما تزداد الّا دروسًا ولا يزداد المجرمون الّا طغيانًا، فبثّ صالح رسله وواعد اصحابه بخروج الى ذلك هلال صفر سنة ستّ وسبعين فاجتمعوا عنده تلك الليلة فسأله بعضهم عن القتل قبل الدعاء ام بعده فقال بل ندعوهم فانّه اقطع لحجّتهم فقال له كيف ترى فيمَنْ قاتلنا فطفقنا به ما تقول فى دمائهم واموالهم فقال لهم ان قتلنا وغنمنا فلنا وان عفونا فوسع علينا، ثمّ وعظ اصحابه وامرهم بامره وقال لهم انّ اكثركم رجّالة وهذه دوابّ لمحمّد بن مروان فابدوُّا بها فاحملوا عليها رجالكم وتقووا بها على عدوّكم، فخرجوا تلك الليلة فاخذوا الدوابّ

Digitized by Google

وقال سُراقة بن مِرْداس البارقيّ يرثي عبد الرحمان بن مخنف

ثوى سيّد الازد ابن ازد شَنُوءة وازد عُمان رهن امس بكازرِ
وضارب حتّى مات اكرم ميتة بابيض صاف كالعقيقة[1] باترِ
وصُرع عند تلّ تحت لوائه كرام المساعي من كرام المعاشرِ
قضى نَحْبه يوم اللقاء ابن مخنف وادبر عنه كلّ ألوث غادرِ
امدّ ولم يمددْ فراح مشمّرًا الى الله لم يذهبْ باثواب غادرِ

واقام المهلّب بسابور يقاتلهم نحو من سنة ۞

ذكر عدّة حوادث،

فى هذه السنة تحرّك صالح بن مسرّح احد من بنى امرء القيس ابن زيد مناة من تميم وكان يرى راى الصُّفْريّة وهو اوّل من خرج فيهم وحجّ هذه السنة ومعه شَبيب بن يزيد وسُوَيْد والبطين واشباههم وحجّ فى هذه السنة عبد الملك بن مروان فهمّ شبيب ان يفتك به فبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجّاج بن يوسف بعد انصرافه يامره بطلبهم وكان شيخًا صالحًا ياتى الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى اصحابه ويعدّ ما يحتاج اليه فلمّا طلبه الحجّاج نبتْ به الكوفة فتركها، وفيها غزا محمّد بن مروان الصائفة عند خروج الروم الى الغَنيق من ناحية مَرْعَش، وحجّ بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه امّا بعد فانّى لست بالخليفة المستضعف يعنى عثمان ولا بالخليفة المداهن يعنى معاوية ولا بالخليفة المأفون يعنى يزيد الا وانّى لا اداوى هذه الامّة الّا بالسيف حتّى تستقيم لى قناتكم وانّكم تحفّظونا[2] اعمال المهاجرين الاوّلين ولا تعملون مثل اعمالهم وانّكم تُمرونا بتقوى الله وتنسون ذلك من انفسهم والله لا يامرنى احد بتقوى الله بعد مقامى هذا الّا ضربتُ عنقه، ثمّ نزل، وفى هذه

---

[1]) C. P. et R. كالعتيقة. [2]) R. تكلّفون.

Digitized by Google

بجندهم الى عبد الرحمان فلمّا رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القرّاء منهم ابو الاحوص صاحب ابن مسعود وخُزَيْمة بن نصر ابو نصر بن خزيمة العبسىّ الذى قُتل مع زيد بن علىّ وصُلب معه بالكوفة ونزل معه من قومه احد وسبعون رجلاً وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالاً شديدًا وانكشف الناس عنه وبقى فى عصابة من اهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمان فيمَّنْ بعثه الى المهلّب فنادى فى الناس ليتبعوه الى ابيه فلم يتبعه الّا ناس قليل فجاء حتّى دنا من ابيه فحالت الخوارج بينهما فقاتل حتّى جُرح، وقاتل عبد الرحمان ومَنْ معه على تلّ مشرف حتّى ذهب نحو من ثُلُثَي الليل ثمّ قُتل فى تلك العصابة فلمّا اصبحوا جاء المهلّب فدفنه فصلّى عليه وكتب بذلك الى الحجّاج فكتب الحجّاج الى عبد الملك بذلك فترحّم عليه وذمّ اهل الكوفة، وبعث الحجّاج الى عسكر عبد الرحمان عتّابَ بن ورقاء وامره ان يسمع للمهلّب فساءه ذلك ولم يجد بدًّا من طاعته فجاء الى العسكر وقاتل الخوارج وامرُه الى المهلّب وهو يقضى اموره ولا يكاد يستشير المهلّب، فوضع عليه المهلّب رجالاً [1] اصطنعهم واغرامٌ به منهم بسطام بن مَصْقلة بن هُبَيْرة، وجرى بين عتّاب والمهلّب ذات يوم كلام اغلظ كلٌّ منهما لصاحبه ورفع المهلّب القضيب على عتّاب فوثب اليه ابنه المغيرة بن المهلّب فقبض القضيب وقال اصلح الله الامير شيخ من اشياخ العرب وشريف من اشرافهم ان سمعتَ بعض ما تكره فاحتمله له فانّه لذلك اهل، ففعل فافترقا فارسل عتّاب الى الحجّاج يشكو المهلّب ويسأله ان يامره بالعود اليه فوافق ذلك حاجة من الحجّاج اليه فيما لقى اشراف الكوفة من سببه فاستقدمه وامره ان يترك ذلك الجيش مع المهلب فجعل المهلّب عليهم ابنه حبيبًا،

---

[1]) Codd. رجلا.

Digitized by Google

منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلاً اسمه رباح ويلقب شير زنجى يعنى اسد الزنج فافسدوا فلمّا فرغ الحجّاج من ابن الجارود امر زياد بن عمرو وهو على شرطة البصرة ان يرسل اليهم جيشًا يقاتلهم ففعل وسيّر اليهم جيشًا عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلهم فقتلوه وهزموا اصحابه ثمّ ارسل اليهم جيشًا آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة ۞

ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مِخْنف ،

لمّا اتى كتاب الحجّاج الى المهلّب وابن مِخْنف يامرهما بمناهضة الخوارج زحفوا اليهم وقاتلوهم شيئًا من قتال فانهزمت الخوارج كانّهم على حامية ولم يكن منهم قتال وسار الخوارج حتّى نزلوا كازرون وسار المهلّب وابن مِخْنف حتّى نزلوا بهم وخندق المهلّب على نفسه وقال لابن مخنف ان رايتَ ان تخندق عليك فافعلْ فقال اصحابه نحن نخندق سيوفنا ، فاتى الخوارج المهلّب ليبيّتوه فوجدوه قد تحرّز فاتوا نحو ابن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه اصحابه فنزل فقاتل فى اناس من اصحابه فقُتل وقُتلوا فقال شاعرهم

لمن العسكر المكلّل بالصرْ عَى فهم بين ميّت وقتيل
فترام تسفى الرياحُ عليهم حاصب[1] الرمل بعد جرّ الذيول ،

هذا قول اهل البصرة ، فامّا اهل الكوفة فانّهم ذكروا انّه لمّا وصل كتاب الحجّاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلّب وعبد الرحمان فاقتتلوا قتالاً شديدًا ومالت الخوارج الى المهلّب فاضطرّوه الى عسكره فارسل الى عبد الرحمان يستمدّه فامدّه عبد الرحمان بالخيل والرجال وكان ذلك بعد الظهر لعشر بقين من رمضان ، فلمّا كان بعد العصر ورات الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمان من الرجال ظنّوا انّه قد خفّ اصحابه فجعلوا بازاء المهلّب مَنْ يشغله وانصرفوا

---

[1]) A. et R. حاصب ; fort. صاحب.

Digitized by Google

خلاف ما تقدّم فيه اليك من امر انس وبرّه واكرامه فيبعث اليك مَنْ يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوّك والقه فى منزله متنصّلًا اليه وليكتبْ الى امير المؤمنين برضاه عنك ان شاء الله والسلام، وبعث بالكتاب مع اسماعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم فاتى اسماعيل أنسًا بكتاب امير المؤمنين اليه فقرأه واتى الحجّاجَ بالكتاب اليه فجعل يقرأه ووجهه يتغيّر ويتغبّر وجبينه يرشح عرقًا ويقول يغفر الله لامير المؤمنين ثمّ اجتمع بانس فرحّب به الحجّاج واعتذر اليه وقال اردتُ ان يعلم اهل العراق اذ كان من ابنك ما كان اذ بلغتُ منك ما بلغت انّى اليهم بالعقوبة اسرع، فقال انس ما شكوت حتّى بلغ من الجهد وحتّى زعمتَ انّا الاشرار وقد سمّانا الله الانصار وزعمتَ انّا اهل النفاق ونحن الذين يتبوّوا الدار والايمان وسيحكم الله بيننا وبينك فهو اقدر على التغيير لا يشبه الحقّ عنده الباطل ولا الصدق الكذب وزعمتَ انّك اتّخذتنى ذريعة وسلّمًا الى مساءة اهل العراق باستحلال ما حرّم الله عليك منّى ولم يكن لى عليك قوّة فوكلتُك الى الله ثمّ الى امير المؤمنين فحفظ من حقّى ما لم تحفظ فوالله لو انّ النصارى على كفرهم راوا رجلًا خدم عيسى بن مريم يومًا واحدًا لعرفوا من حقّه ما لم تعرف انت من حقّى وقد خدمتُ رسول الله صلّعم عشر سنين وبعد فان راينا خيرًا حمدنا الله عليه واثنينا وان راينا غير ذلك صبرنا والله المستعان، وردّ عليه الحجّاج ما كان اخذ منه ۞

ذكر شير زنجى والزنج معه،

اجتمع الزنج بفرات البصرة فى آخر ايّام مصعب بن الزّبير ولم يكونوا بالكثير فافسدوا وتناولوا الثمار وولى خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثروا فشكا الناس اليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشًا فلمّا بلغهم ذلك تفرّقوا واخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم، فلمّا كان من امر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج ايضًا فاجتمع

فيك، فكتب عبد الملك الى الحجّاج باطلاقه، وقُتل مع ابن الجارود عبد الله بن أَنَس بن مالك الانصاريّ فقال للحجّاج الا ارى أَنَسًا يعين عليّ فلمّا دخل البصرة اخذ ماله فحين دخل عليه أَنَس قال لا مرحبًا ولا اهلًا بك يا ابن خبيثة شيخ ضلالة حوّال فى الفتن مرّة مع ابى تراب ومرّة مع ابن الزُّبَيْر ومرّة مع ابن الجارود ام والله لاجرّدنّك جرد القضيب ولاعصبنّك عصب السلمة ولاقلعنّك قلع الصمغة، فقال أَنس بمَنْ يعنى الامير قال ايّاك اعنى اصمّ الله صداك، فرجع انس فكتب الى عبد الملك كتابًا يشكو فيه الحجّاجَ وما صنع به، فكتب عبد الملك الى الحجّاج امّا بعد يابن امّ الحجّاج فانّك عبد طمتْ بك الامور فعلوتَ فيها حتّى علوتَ طورك وجاوزتَ قدرك يا ابن المستعربة[1] بعجم الزبيب لاغمزنّك غمزة كبعض غمزات الليوث الثعالب ولاخبطنّك خبطة تودّ لها انّك رجعتَ فى مخرجك من بطن امّك اما تذكر حال اباتك فى الطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الابار بايديهم فى اوديتهم ومياههم ام نسيتَ حال اباتك فى اللؤم والدناءة فى المروّة والخلق وقد بلغ امير المؤمنين الذى وكان منك الى أَنَس بن مالك جرأة واقدامًا واظنّك اردتّ ان تسبر ما عند امير المؤمنين فى امره فتعلم انكاره ذلك واغضاءه عنك فان سوّغك ما كان منك مصيبتَ عليه قدمًا فعليك لعنة الله من عند اخفش العينَيْن اصكّ الرجلَيْن ممسوح الجاعرتَيْن ولولا انّ امير المؤمنين يظنّ انّ الكاتب كثر فى الكتابة عن الشيخ الى امير المؤمنين فيك لاتاك مَنْ يسحبك ظهر البطن حتّى ياتى بك انسًا فيحكم فيك فاكرمْ أَنَسًا واهل بيته واعرف له حقّه وخدمته رسول الله صلّعم ولا تقصرنّ فى شىء من حوائجه ولا يبلغنّ امير المؤمنين عنك

---

[1]) R. المستنفرة.

Digitized by Google

واتاه جعفر بن عبد الرحمان بن مِخْنف الازدىّ وارسل اليه مِسْمع ابن مالك بن مِسْمع ان شئْتَ اتيتُك وان شئت اقمتُ وثبّطتُ الناس عنك، فقال اقمْ وثبّط الناس عنّى، فلمّا اجتمع الى الحجّاج جمع يمنع بمثلهم خرج فعبّأ اصحابه وتلاحق الناس به فلمّا اصبح اذ حوله نحو ستّة آلاف وقيل غير ذلك، فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظَبْيان ما الراى قال تركتَ الراى امس حين قال لك الغضبان تعشّ بالجدى قبل ان يتغدّى بك وقد ذهب الراى وبقى الصبر، فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فتطيّر، وحرّض الحجّاج اصحابه وقال لا يهوّلنّكم ما ترون من كثرتهم، وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهُذَيْل بن عمران وعلى ميسرته عبد الله ابن زياد بن ظَبْيان وعلى ميمنة الحجّاج قُتَيْبة بن مسلم ويقال عبّاد بن الحُصَيْن وعلى ميسرته سعيد بن اسلم فحمل ابن الجارود فى اصحابه حتّى جاز اصحاب الحجّاج فعطف الحجّاج عليه ثمّ اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فاتاه سهم غرب فاصابه فوقع ميّتًا، ونادى منادى الحجّاج بامان الناس الّا الهذيل وعبد الله بن حكيم وامر ان لا يتبع المنهزمون وقال الاتباع من سوء الغلبة، فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان واتى سعيدَ بن عياذ بن الجُنْدى الازدىّ بعُمان فقيل لسعيد انّه رجل فاتك فاحذره فلمّا جاء البطيخ بعث اليه بنصف بطيخة مسمومة وقال هذا اوّل شىء جاء من البطيخ وقد أكلتُ نصف بطيخة وبعثتُ بنصفها فاكلها عبيد الله فاحسّ بالشرّ فقال اردتَّ ان اقتله فقتلنى، وحُمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأسًا من وجوه اصحابه الى المهلّب فنُصبتْ ليراها الخوارج ويتأسوا لاختلاف، وحبس الحجّاج عُبَيْد بن كعب ومحمّد بن عُمَيْر حيث قالوا للحجّاج تاتينا لنمنعك وحبس الغضبان بن القبعثرى وقال له انت القائل تعشّ بالجدى قبل ان يتغدّى بك، فقال ما نفعتُ من قيلتى له ولا ضررتَ من قيلتى

Digitized by Google

لهما ما تريان فقال زياد ان آخذ لكما من القوم امانًا وتخرج حتى تلحق بامير المؤمنين فقد ارفض اكثر الناس عنكما ولا ارى لكما ان تقاتلا بمَنْ معكما، فقال عثمان بن قَطن الحارثيُّ لكنّي لا ارى ذلك ان امير المؤمنين قد شركك في امرك وخلطك بنفسه واستنصحك وسلطك فسرتَ الى ابن الزُّبَيْر وهو اعظم الناس خطرًا فقتلتَهُ فولّاك الله شرف ذلك وسناه وولّاك امير المؤمنين الحجاز ثمّ رفعتَ فولّاك العراقَيْن فحيث جربتَ الى المدى واصبت الغرض الاقصى تخرج على قعود الى الشام والله لئن فعلتَ لا زلتَ من عبد الملك مثل الذي انت فيه من سلطان ابدًا وليتضعنّ شأنك ولكنّي ارى ان نمشي بسيوفنا معكما فنقاتل حتى نلقى ظفرًا او نموت كرامًا، فقال له الحجّاج الرأي ما رأيتَ وحفظ هذا لعثمان وحقدها على زياد ابن عمرو، وجاء عامل بن مِسْمع الى الحجّاج فقال انّي قد اخذتُ لك امانًا من الناس فجعل الحجّاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول والله لا أؤمنهم ابدًا حتى يؤتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم، وارسل الى عبيد بن كعب النميريّ يقول علمتَ انّي فامنعْني فقال قلْ له ان اتيتَني منعتُك فقال لا ولا كرامة وبعث الى محمّد بن عُمَيْر بن عُطارد كذلك فاجابه مثل الجواب الاوّل فقال لا ناقتي في هذا ولا جملي وارسل الى عبد الله بن حكيم المُجاشعيّ فاجابه كذلك ايضًا، ومرّ عبّاد بن الحُصَيْن الحَبَطيُّ بابن الجارود وابن الهذيل وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون فقال اشركونا في نجواكم فقالوا فيهات ان يدخل في نجوانا احد من بني الحبط فغضب وصار الى الحجّاج في مائة رجل فقال له الحجّاج ما ابالي مَنْ تخلّف بعدك، وسعى قُتَيْبة بن مسلم في قومه في بجيلي اعصر وقال لا والله لا ندع قيسًا يقتل ولا ينهب ما له يعني الحجّاج واقبل الى الحجّاج، وكان الحجّاج قد يئس من الجيرة فلمّا جاءه هؤلاء اطمأنّ ثمّ جاءه سَبْرة ابن عليّ الكلابيُّ وسعيد بن اسلم بن زُرْعة الكلابيُّ فسلّم فابدأه منه

Digitized by Google

واخذ بعضهم على بعضهم العهود، وبلغ للحجّاجَ ما هم فيه فاحرز بيت المال واحتاط فيه، فلمّا تمّ لهم امرهم اظهروه وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وسبعين واخرج عبد الله بن الجارود عبدَ القيس على راياتهم وخرج الناس معه حتّى بقى للحجّاج وليس معه الّا خاصّته واهل بيته فخرجوا قبل الظهر وقطع ابن الجارود وَسْ معه الجسر وكانت خزائن للحجّاج والسلاح من ورآئه، فارسل للحجّاج اعين صاحب حمّام أَعْيَن بالكوفة الى ابن الجارود ويستدعيه اليه فقال ابن الجارود وَسْ الامير لا ولا كرامة لا ابن ابى رغال[1] ولكن ليخرجْ عنّا مذمومًا مدحورًا والّا قاتلناه، فقال اعين فانّه يقول لك اتطيب نفسًا بقتلك وقتل اهل بيتك وعشيرتك والذى نفسى بيده لئن لم ياتنى لادعنّ قومك عامّة واهلك خاصّة حديثًا للغابرين، وكان للحجّاج قد ثقّل اعينَ هذه الرسالة، فقال ابن الجارود لولا انّك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة وامر فوُجئَ فى عنقه وأُخْرج، واجتمع الناس لابن الجارود فاقبل بهم زحفًا نحو للحجّاج وكان رايهم ان يُخْرجوه عنهم ولا يقاتلوه فلمّا صاروا اليه نهبوه فى فسطاطه واخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابّه وجاء اهل اليمن فاخذوا امرأته ابنة النعمان ابن بَشير وجاءت مُضَر فاخذوا امرأته الاخرى امّ سَلَمة بنت عبد الرحمان بن عمرو اخى سُهَيْل بن عمرو، فخافه السفهاء ثمّ انّ القوم انصرفوا عن للحجّاج وتركوه فاتاه قوم من اهل البصرة فصاروا معه خائفين من محاربة الخليفة، فجعل الغَضْبان بْن القبعثرى الشيبانىّ يقول لابن الجارود تعشّ بالجدى قبل ان يتغدّى بك[2] اما ترى مَنْ قد اتاه منكم ولئن اصبح ليكثرنّ قاصره ولتضعفنّ منكم، فقال قد قرب المساء ولكنّا نعاجله بالغداة، وكان مع للحجّاج عثمان ابن قَطن وزياد بن عمرو العتكىّ وكان زياد على شرطة البصرة فقال

---

[1]) C. P. رغال. [2]) Cf. *Meidanii* I, p. 237.

Digitized by Google

فى فتقا وقد راه بشر بن مروان فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال، فامر به فضربت عنقه فلم يبق بالبصرة احد من عسكر المهلّب الّا لحق به فقال المهلّب لقد اتى العراق رجل ذكر، وتتابع الناس مزدحمين اليه حتّى كثر جمعه، ثمّ سار للحجّاج الى رستقاباذ وبينها وبين المهلّب ثمانية عشر فرسخًا وانّما اراد ان يشدّ ظهر المهلّب واصحابه بمكانه فقام برستقاباذ خطيبًا حين نزلها فقال يا اهل البصرتين هذا المكان والله مكانكم شهرًا بعد شهر وسنة بعد سنة حتّى يُهْلك الله عدوّكم هؤلاء للخوارج المطلّين عليكم، ثمّ انّه خطب يومًا فقال انّ الزيادة لله زادكم اياها ابن الزُّبَيْر انّما هى زيادة خسرة باطلة ملحد فاسق منافق ولسنا نُجيزها، وكان مصعب قد زاد الناس فى العطاء مائة مائة، فقال عبد الله بن الجارود انّها ليست بزيادة ابن الزبير انّما هى زيادة امير المؤمنين عبد الملك قد انفذها واجازها على يد اخيه بِشْر، فقال له الحجّاج ما انت والكلام لتحسنّ حمل رأسك او لاسلبنّك اياه فقال ولِمَ انّى لك لناصح وانّ هذا القول من ورآئى، فنزل الحجّاج ومكث اشهرًا لا يذكر الزيادة ثمّ اعاد القول فيها فردّ عليه ابن الجارود مثل ردّه الاوّل، فقام مَصْقلة ابن كَرِب العبدىّ ابو رقبة بن مَصْقلة المحدّث عنه فقال انّه ليس للرعيّة ان تردّ على راعيها وقد سمعنا ما قال الامير فسمعًا وطاعة فيما احببنا وكرهنا، فقال له عبد الله بن الجارود يا ابن الجرمقانيّة ما انت وهذا ومتى كان مثلك يتكلّم وينطق فى مثل هذا، وانى الوجوه عبدَ الله بن الجارود فصوّبوا رايه وقوله وقال الهُذَيْل بن عمران البُرْجمىّ وعبد الله بن حكيم بن زياد المُجاشعىّ وغيرهما نحن معك واعوانك انّ هذا الرجل غير كاف حتّى ينقصنا هذه الزيادة فهلمّ نبايعك على اخراجه من العراق ثمّ نكتب الى عبد الملك نسأله ان يولّى علينا غيره فان أبى خلعناه فانّه هائب لنا ما دامت الخوارج، فبايعه الناس سرًّا واعطوه المواثيق على الوفاء

ابن عبد الله فبلغ خالدًا الخبر فخرج عن البصرة فنزل الجلحاء وشيّعه اهل البصرة فقسم فيهم الف الف، فكان الحجّاج اوّل مَنْ عاقب بالقتل على التخلّف عن الوجه الذى يكتب اليه قال الشعبىّ كان الرجل اذا اخلّ بوجهه الذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلىّ نُزعتْ عمامته ويقام للناس ويشهر امره فلمّا ولى مصعب قال ما هذا بشىء واضاف اليه حلق الرؤوس واللحى فلمّا ولى بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الارض ويُسْمَر فى يديه مسماران فى حائط فربّما مات وربّما خرق المسمار كفّه فسلم فقال شاعر

لولا مخافة بِشْر او عقوبته ... وان ينوّط كفّىَ مسمارُ
اذًا لعطّلتُ ثغرى ثمّ زُرْتُكُمُ ... انّ المحبّ لمَنْ يهواه زوّارُ

فلمّا كان الحجّاج قال هذا لعبٌ اضرب عنق من يخلّ مكانه من الثغر ☆

ذكر ولاية سعيد بن اسلم السند وقتله،

فى هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن اسلم ابن زُرْعَة فخرج عليه معاوية ومحمّد ابنا الحارث العلافيّان فقتلاه وغلبا على البلاد فارسل الحجّاج مُجّاعة بن سِعْر التميمىّ الى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح اماكن من قنداييل ومات مجّاعة بعد سنة بمكران فقيل فيه

ما من مشاهدك الّتى شاهدتَها ... الّا يزيدك ذكرها مجّاعا ☆

ذكر وثوب اهل البصرة بالحجّاج،

فى هذه السنة خرج الحجّاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة عُرْوَة بن المُغيرة بن شُعْبَة فلمّا قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوعّد مَنْ رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلّب فاتاه شَريك بن عمرو اليشكرىّ وكان به فتق وكان اعور يضع على عينه قطعة فلقّب ذا الكُرْسُفة فقال اصلح الله الامير انّ

منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلاً اسمه رباح ويلقب شير زنجى يعنى اسد الزنج فافسدوا فلمّا فرغ الحجّاج من ابن الجارود امر زياد بن عمرو وهو على شرطة البصرة ان يرسل اليهم جيشًا يقاتلهم ففعل وسيّر اليهم جيشًا عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلهم فقتلوه وهزموا اصحابه ثمّ ارسل اليهم جيشًا آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة ۞

ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف ،

لمّا اتى كتاب الحجّاج الى المهلّب وابن مخنف يامرهما بمناهضة الخوارج زحفوا اليهم وقاتلوهم شيئًا من قتال فانهزمت الخوارج كانّهم على حامية ولم يكن منهم قتال وسار الخوارج حتّى نزلوا كازرون وسار المهلّب وابن مخنف حتّى نزلوا بهم وخندق المهلّب على نفسه وقال لابن مخنف ان رايتَ ان تخندق عليك فافعلْ فقال اصحابه نحن نخندق سيوفنا، فاتى الخوارج المهلّب ليبيّتوه فوجدوه قد تحرّز فقالوا نحو ابن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه اصحابه فنزل فقاتل فى اناس من اصحابه فقُتل وقُتلوا فقال شاعرهم

لمن العسكر المكلّل بالصرْ ... عَى فهم بين ميّت وقتيل

فتراهم تسفى الرياحُ عليهم ... حاصب[1] الرمل بعد جرّ الذيول،

هذا قول اهل البصرة، فامّا اهل الكوفة فانّهم ذكروا انّه لمّا وصل كتاب الحجّاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلّب وعبد الرحمان فاقتتلوا قتالاً شديدًا ومالت الخوارج الى المهلّب فاضطرّوه الى عسكره فارسل الى عبد الرحمان يستمدّه فامدّه عبد الرحمان بالخيل والرجال وكان ذلك بعد الظهر لعشر بقين من رمضان، فلمّا كان بعد العصر ورات الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمان من الرجال ظنّوا انّه قد خفّ اصحابه فجعلوا بازاء المهلّب مَنْ يشغله وانصرفوا

---

[1]) A. et R. حاحب ; fort. صاحب.

Digitized by Google

خلاف ما تقدّم فيه اليك من امر انس وبرّه واكرامه فيبعث اليك مَنْ يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوّك والقه فى منزله متنصّلًا اليه وليكتبْ الى امير المؤمنين برضاه عنك ان شاء الله والسلام، وبعث بالكتاب مع اسماعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم فاتى اسماعيل أنسًا بكتاب امير المؤمنين اليه فقرأه واتى الحجّاج بالكتاب اليه فجعل يقرأه ووجهه يتغيّر ويتغبّر وجبينه يوشح عرقًا ويقول يغفر الله لامير المؤمنين ثمّ اجتمع بانس فرحّب به الحجّاج واعتذر اليه وقال اردتُ ان يعلم اهل العراق اذ كان من ابنك ما كان اذ بلغتُ منك ما بلغت انّى اليهم بالعقوبة اسرع، فقال انس ما شكوت حتّى بلغ من الجهد وحتّى زعمتَ انّا الاشرار وقد سمّانا الله الانصار وزعمتَ انّا اهل النفاق ونحن الذين يتبوّوا الدار والايمان وسيحكم الله بيننا وبينك فهو اقدر على التغيير لا يشبه الحقّ عنده الباطل ولا الصدق الكذب وزعمتَ انّك اتّخذتنى ذريعة وسلّمًا الى مساءة اهل العراق باستحلال ما حرّم الله عليك متّى ولم يكن لى عليك قوّة فوكلتُك الى الله ثمّ الى امير المؤمنين فحفظ من حقّى ما لم تحفظ فوالله لو انّ النصارى على كفرهم راوا رجلًا خدم عيسى بن مريم يومًا واحدًا لعرفوا من حقّه ما لم تعرف انت من حقّى وقد خدمتُ رسول الله صلّعم عشر سنين وبعد فان راينا خيرًا حمدنا الله عليه واثنينا وان راينا غير ذلك صبرنا والله المستعان، وردّ عليه الحجّاج ما كان اخذ منه ☆

ذكر شير زنجى والزنج معه،

اجتمع الزنج بفرات البصرة فى آخر ايّام مصعب بن الزّبير ولم يكونوا بالكثير فافسدوا وتناولوا الثمار وولى خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثروا فشكا الناس اليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشًا فلمّا بلغهم ذلك تفرّقوا واخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم، فلمّا كان من امر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج ايضًا فاجتمع

Digitized by Google

فيك، فكتب عبد الملك الى الحجّاج باطلاقه، وقُتل مع ابن الجارود عبد الله بن أَنَس بن مالك الانصاريّ فقال الحجّاج الا ارى أَنَسًا يعين عليّ فلمّا دخل البصرة اخذ ماله فحين دخل عليه أَنَس قال لا مرحبًا ولا اهلًا بك يا ابن خبيثة شيخ ضلالة حوّال فى الفتن مرّة مع ابى تراب ومرّة مع ابن الزُّبَيْر ومرّة مع ابن الجارود ام والله لاجرّدنّك جرد القضيب ولاعصبنّك عصب السلمة ولاقلعنّك قلع الصمغة، فقال أَنَس بمَنْ يعنى الامير قال ايّاك اعنى اصمّ الله صداك، فرجع انس فكتب الى عبد الملك كتابًا يشكو فيه الحجّاجَ وما صنع به، فكتب عبد الملك الى الحجّاج امّا بعد يابن امّ الحجّاج فانّك عبد طمتْ بك الامور فعلوتَ فيها حتّى علوتَ طورك وجاوزتَ قدرك يا ابن المستعربة [1] بحجم الزبيب لاغمزنّك غمزة كبعض غمزات الليوث الثعالب ولاخبطنّك خبطة تودّ لها انّك رجعتَ فى مخرجك من بطن امّك اما تذكر حال اباتك فى الطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الابار بايديهم فى اوديتهم ومياههم ام نسيتَ حال اباتك فى اللؤم والدناءة فى المروّة والخلق وقد بلغ امير المؤمنين الذى وكان منك الى أَنَس بن مالك جرأة واقدامًا واظنّك اردتَّ ان تسبر ما عند امير المؤمنين فى امره فتعلم انكاره ذلك واغضاءه عنك فان سوّغك ما كان منك مصيبتَ عليه قدمًا فعليك لعنة الله من عند اخفش العينَيْن اصكّ الرجلَيْن ممسوح الجاعرتَيْن ولولا انّ امير المؤمنين يظنّ انّ الكاتب كثر فى الكتابة عن الشيخ الى امير المؤمنين فيك لاتلّ مَنْ يسحبك ظهر البطن حتّى ياتى بك انسًا فيحكم فيك فاكرمْ أَنَسًا واهل بيته واعرف له حقّه وخدمته رسول الله صلّعم ولا تقصرنّ فى شىء من حوائجه ولا يبلغنّ امير المؤمنين عنك

---

[1]) R. المستنفرة.

Digitized by Google

واتاه جعفر بن عبد الرحمان بن مِخْنف الازدىّ وارسل اليه مِسْمع ابن مالك بن مِسْمع ان شئْتَ اتيتُك وان شئت اقمتُ وثبّطتُ الناس عنك، فقال اقمْ وثبّط الناس عنّى، فلمّا اجتمع الى الحجّاج جمع يمنع بمثلهم خرج فعبّأ اصحابه وتلاحق الناس به فلمّا اصبح اذ حوله نحو ستّة آلاف وقيل غير ذلك، فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظِبْيان ما الراى قال تركتَ الراى امس حين قال لك الغضبان تعشّ بالجدى قبل ان يتغدّى بك وقد ذهب الراى وبقى الصبر، فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فتطيّر، وحرّض الحجّاج اصحابه وقال لا يهوّلنّكم ما ترون من كثرتهم، وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهُذَيْل بن عمران وعلى ميسرته عبد الله ابن زياد بن ظِبْيان وعلى ميمنة الحجّاج قُتَيْبة بن مسلم ويقال عبّاد بن الحُصَيْن وعلى ميسرته سعيد بن اسلم فحمل ابن الجارود فى اصحابه حتّى جاز اصحاب الحجّاج فعطف الحجّاج عليه ثمّ اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فاتاه سهم غرب فاصابه فوقع ميّتًا، ونادى منادى الحجّاج بامان الناس الّا الهذيل وعبد الله بن حكيم وامر ان لا يتبع المنهزمو ن وقال الاتباع من سوء الغلبة، فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظِبْيان واتى سعيدَ بن عياذ بن الجُنْدى الازدىّ بعُمان فقيل لسعيد انّه رجل فاتك فاحذره فلمّا جاء البطيخ بعث اليه بنصف بطيخة مسمومة وقال هذا اوّل شىء جاء من البطيخ وقد أكلتُ نصف بطيخة وبعثتُ بنصفها فاكلها عبيد الله فاحسّ بالشرّ فقال اردتَّ ان اقتله فقتلنى، وحُمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأسًا من وجوه اصحابه الى المهلّب فنُصبتْ ليراها الخوارج ويتأسوا لاختلاف، وحبس الحجّاج عُبَيْد بن كعب ومحمّد بن عُمَيْر حيث قالوا للحجّاج تاتينا لنمنعك وحبس الغضبان بن القبعثرى وقال له انت القائل تعشّ بالجدى قبل ان يتغدّى بك، فقال ما نفعتُ من قيلتى له ولا ضررتَ من قيلتى

Digitized by Google

لهما ما تريان فقال زياد ان آخذ لكما من القوم امانًا وتخرج حتى تلحق بامير المؤمنين فقد ارفض اكثر الناس عنكما ولا ارى لكما ان تقاتلا بمَنْ معكما، فقال عثمان بن قَطن الحارثيّ لكنّي لا ارى ذلك ان امير المؤمنين قد شركك في امرك وخلطك بنفسه واستنصحك وسلّطك فسرتَ الى ابن الزُّبير وهو اعظم الناس خطرًا فقتلتَهُ فولّاك الله شرف ذلك وسناه وولّاك امير المؤمنين الحجاز ثمّ رفعتَ فولّاك العراقَيْن فحيث جريتَ الى المدى واصبت الغرض الاقصى تخرج على قعود الى الشام والله لئن فعلتَ لا زلتَ من هبد الملك مثل الذي انت فيه من سلطان ابدًا وليتضعضعنّ شأنك ولكنّي ارى ان نمشي بسيوفنا معكما فنقاتل حتى نلقى ظفرًا او نموت كرامًا، فقال له الحجّاج الرأي ما رأيتَ وحفظ هذا لعثمان وحقدها على زياد ابن عمرو، وجاء عامل بن مِسْمع الى الحجّاج فقال انّي قد اخذتُ لك امانًا من الناس فجعل الحجّاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول والله لا أؤمنهم ابدًا حتى يؤتوا بالهذيل وهبد الله بن حكيم، وارسل الى عبيد بن كعب النميريّ يقول علمتَ انّي فامنعْني فقال قلْ له ان اتيتَني منعتُك فقال لا ولا كرامة وبعث الى محمّد بن عُمَيْر بن عُطارد كذلك فاجابه مثل الجواب الاوّل فقال لا ناقتي في هذا ولا جملي وارسل الى عبد الله بن حكيم المُجاشعيّ فاجابه كذلك ايضًا، ومرّ عبّاد بن الحُصَيْن الحَبَطيّ بابن الجارود وابن الهذيل وهبد الله بن حكيم وهم يتناجون فقال اشركونا في نجواكم فقالوا فيهات ان يدخل في نجوانا احد من بني الحبط فغضب وصار الى الحجّاج في مائة رجل فقال له الحجّاج ما ابالي مَنْ تخلّف بعدك، وحمى قُتَيْبة بن مسلم في قومه في يحيى اعصر وقال لا والله لا ندع قيسًا يقتل ولا ينهب ما له يعني الحجّاج واقبل الى الحجّاج، وكان الحجّاج قد يئس من الحيرة فلمّا جاءه هؤلاء اطمأنّ ثمّ جاءه سَبْرة ابن عليّ الكلابيّ وسعيد بن اسلم بن زُرْعة الكلابيّ فسلّم فادناه منه

Digitized by Google

واخذ بعضهم على بعضهم العهود، وبلغ للحجّاجَ ما تم فيه فاحرز بيت المال واحتاط فيه، فلمّا تمّ لهم امرهم اظهروه وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وسبعين واخرج عبد الله بن الجارود عبدَ القيس على راياتهم وخرج الناس معه حتّى بقى للحجّاج وليس معه الّا خاصّته واهل بيته فخرجوا قبل الظهر وقطع ابن الجارود ومَنْ معه الجسر وكانت خواتن للحجّاج والسلاح من ورآئه، فارسل للحجّاج اعين صاحب حمّام أَعْيَن بالكوفة الى ابن الجارود ويستدعيه اليه فقال ابن الجارود ومَنْ الامير لا ولا كرامة لا ابن ابى رغال[1] ولكن ليخرجْ عنّا مذمومًا مدحورًا والّا قاتلناه، فقال اعين فانّه يقول لك انطيب نفسًا بقتلك وقتل اهل بيتك وعشيرتك والذى نفسى بيده لئن لم ياتنى لادعنّ قومك عامّة واهلك خاصّة حديثًا للغابرين، وكان للحجّاج قد حمّل اعينَ هذه الرسالة، فقال ابن الجارود لولا انّك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة وامر فوُجئَ فى عنقه وأُخرج، واجتمع الناس لابن الجارود فاقبل بهم زحفًا نحو للحجّاج وكان رايهم ان يُخرجوه عنهم ولا يقاتلوه فلمّا صاروا اليه نهبوه فى فسطاطه واخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابّه وجاء اهل اليمن فاخذوا امرأته ابنة النعمان ابن بَشير وجاءت مُضَر فاخذوا امرأته الاخرى امّ سَلمة بنت عبد الرحمان بن عمرو اخى سُهَيْل بن عمرو، فخافه السفهاء ثمّ انّ القوم انصرفوا عن للحجّاج وتركوه فاتاه قوم من اهل البصرة فصاروا معه خائفين من محاربة الخليفة، فجعل الغَضْبان بْن القبعثرى الشيبانىّ يقول لابن الجارود تعشّ بالجدى قبل ان يتغدّى بك[2] اما ترى مَنْ قد اتاه منكم ولئن اصبح ليكثرنّ ناصره ولتضعفنّ منكم، فقال قد قرب المساء ولكنّا نعاجله بالغداة، وكان مع للحجّاج عثمان ابن قَطن وزياد بن عمرو العتكىّ وكان زياد على شرطة البصرة فقال

---

[1]) C. P. رغال. [2]) Cf. *Meidanii* I, p. 237.

Digitized by Google

فى فتقًا وقد راه بشر بن مروان فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال، فامر به فضُربت عنقه فلم يبق بالبصرة احد من عسكر المهلّب الّا لحق به فقال المهلّب لقد اتى العراق رجل ذكر، وتتابع الناس مزدحمين اليه حتّى كثر جمعه، ثمّ سار للحجّاج الى رستقاباذ وبينها وبين المهلّب ثمانية عشر فرسخًا وانّما اراد ان يشدّ ظهر المهلّب واصحابه بمكانه فقام برستقاباذ خطيبًا حين نزلها فقال يا اهل المصرَيْن هذا المكان والله مكانكم شهرًا بعد شهر وسنة بعد سنة حتّى يُهْلك الله عدوّكم هؤلاء للخوارج المطلّين عليكم، ثمّ انّه خطب يومًا فقال انّ الزيادة لله زادكم اياها ابن الزُّبَيْر انّما فى زيادة خسرة باطلة ملحد فاسق منافق ولسنا نُجيزها، وكان مصعب قد زاد الناس فى العطاء مائة مائة، فقال عبد الله بن الجارود انّها ليست بزيادة ابن الزبير انّما فى زيادة امير المؤمنين عبد الملك قد انفذها واجازها على يد اخيه بِشْر، فقال له للحجّاج ما انت والكلام لتحسنّ حمل رأسك او لاسلبنّك اياه فقال ولِمَ انّى لك لناصح وانّ هذا القول من ورآئى، فنزل للحجّاج ومكث اشهرًا لا يذكر الزيادة ثمّ اعاد القول فيها فردّ عليه ابن الجارود مثل ردّه الاوّل، فقام مَصْقلة ابن كَرِب العبدىّ ابو رقبة بن مَصْقلة المحدّث عنه فقال انّه ليس للرعيّة ان ترُدّ على راعيها وقد سمعنا ما قال الامير فسمعًا وطاعة فيما احببنا وكرهنا، فقال له عبد الله بن الجارود يا ابن الجرمقانيّة ما انت وهذا ومتى كان مثلك يتكلّم وينطق فى مثل هذا، واتى الوجوه عبدَ الله بن الجارود فصوّبوا رايه وقوله وقال الهُذَيْل بن عمران البُرْجمىّ وعبد الله بن حكيم بن زياد المُجاشعىّ وغيرهما نحن معك واعوانك انّ هذا الرجل غير كاف حتّى ينقصنا هذه الزيادة فهلمّ نبايعك على اخراجه من العراق ثمّ نكتب الى عبد الملك نسأله ان يولّى علينا غيره فان أبى خلعناه فانّه هائب لنا ما دامت الخوارج، فبايعه الناس سرًّا واعطوه المواثيق على الوفاء

Digitized by Google

ابن عبد الله فبلغ خالدًا الخبر فخرج عن البصرة فنزل الجلحاء وشيّعه اهل البصرة فقسم فيهم الف الف، فكان للحجّاج اوّل مَنْ عاقب بالقتل على التخلّف عن الوجه الذى يكتب اليه قال الشعبىّ كان الرجل اذا اخلّ بوجهه الذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلىّ نُزعتْ عمامته ويقام للناس ويشهر امره فلمّا ولى مصعب قال ما هذا بشىء واضاف اليه حلق الرؤوس واللحى فلمّا ولى بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الارض ويُسْمَر فى يديه مسماران فى حائط فربّما مات وربّما خرق المسمار كفّه فسلم فقال شاعر

لولا مخافة بِشْر او عقوبته وان يسوّط كفّىَّ مسمارُ
اذًا لعطّلتُ ثغرى ثمّ زُرْتكمُ انّ المحبّ لمَنْ يهواه زوّارُ

فلمّا كان للحجّاج قال هذا لعبٌ اضرب عنق من يخلّ مكانه من الثغر ☆

ذكر ولاية سعيد بن اسلم السند وقتله،

فى هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن اسلم ابن زُرْعَة فخرج عليه معاوية ومحمّد ابنا الحارث العلافيّان فقتلاه وغلبا على البلاد فارسل للحجّاج مُجّاعة بن سِعْر التميمىّ الى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح اماكن من قندابيل ومات مجّاعة بعد سنة بمكران فقيل فيه

ما من مشاهدك الله شاهدتَها الّا يزيدك ذكرها مجّاعا ☆

ذكر وثوب اهل البصرة بالحجّاج،

فى هذه السنة خرج للحجّاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة عُرْوَة بن المُغيرة بن شُعْبَة فلمّا قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوعّد مَنْ رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلّب فاتاه شَريك بن عمرو اليشكرىّ وكان به فتق وكان اعور يضع على عينه قطعة فلقّب ذا الكُرْسُفة فقال اصلح الله الامير انّ

عدوّ الله افلا الى امير المؤمنين بُعثتَ بدينًا ثمّ امر به فضُربت عنقه وامر منادیًا فنادى الا انّ عمير بن ضابئ اتى بعد ثلاثة وكان سمع النداء فامرنا بقتله الا انّ ذمّة الله برئت ممّن لم بات[1] الليلة من جند المهلّب، فخرج الناس فاردحموا على الجسر وخرج العرفاء الى المهلّب وهو برامهرمز فاخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلّب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدوّ[2]، فلمّا قتل الحجّاج عميرًا لقى ابراهيم بن عامر الاسدىّ عبد الله بن الزّبير فسأله عن الخبر فقال

اقول لابراهيم لمّا لقيتُهُ
ارى الامر اخّى منصبًا متشعّبا
تجهّزْ واسرعْ فالحق الجيش لا ارى
سوى الجيش الّا فى المهالك مذهبا
تخيّرْ فامّا ان تزورَ ابن صابئٍ
عُمَيْرًا وامّا ان تزورَ المهلّبا
هما خطّتا خسف تحاول[3] منهما
ركوبك حوليا من الثلج اشهبا
فحال ولو كانت خراسان دونه
راها مكانَ السوق او ثمّ اقربا
فكائنْ ترى من مكره الغزو مسعرًا[4]
تخمّم[5] حلو السرح حتّى تحنّبا[6]

تخمّم اى لزمه حتّى صار كالحميم وتحنّب اعوج والزّبير هُهنا بفتح الزاى وكسر الباء، قيل وكان قدوم الحجّاج فى شهر رمضان فوجّه الحكم بن ايّوب الثقفىّ على البصرة اميرًا وامره ان يشتدّ على خالد

---

[1]) A. بات. [2]) C. P. قويل العذور. [3]) R. بحائك; Bodl. تجاءك. [4]) R. ميمن; C. P. مسمنا. [5]) C. P. تخمحم. [6]) C. P. et Bodl. تحببا ☆

اللحم عن الارض والعصلبيّ الشديد والاعلاط من الابل لقة لا ارسان عليها، وقوله فحجم هيدانها اى عضّها واختبرها، وقوله لاعصبنّكم عصب السلمة فالعصب القطع والسلم شاجر من الغضاة، وقوله لا إخلق الّا فريت فالخلق التقدير ويقال فريتَ الاديم اذا اصلحته والسمّهى الباطل واصله ما تسمّيه العامّة خاط الشيطان، والعطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير ❊ فلمّا كان اليوم الثالث سمع تكبيرًا فى السوق فخرج حتّى جلس على المنبر فقال يا اهل العراق واهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق انّى سمعت تكبيرًا ليس بالتكبير الذى يُراد به وجه الله ولكنّه التكبير الذى يُراد به الترهيب وقد عرفتُ انّها عجاجة تحتها قصف يا بنى اللكيعة وعبيد العصا وابناء الايامى الا يربع رجل منكم على ظلفه ويحسن حقن دمه ويعرف موضع قدمه فاقسم بالله لأُوشك ان اوقع بكم وقعة تكون نكالًا لما قبلها وادبًا لما بعدها، فقام عُمَيْر بن ضابئ الحنظلىّ التيمىّ فقال اصلح الله الامير انا فى هذا البعث وانا شيخ كبير عليل وابنى هذا اشبّ[1] منّى، فقال الحجّاج هذا خير لنا من ابيه ثمّ قال ومَنْ انت قال انا عُمَيْر بن ضابئ، قال اسمعتَ كلامنا بالامس قال نعم قال الستَ الذى غزا عثمان ابن عفّان قال بلى قال يا عدوّ الله افلا الى عثمان بُعثتَ بدلًا وما حملك على ذلك، قال انّه حبس اذى وكان شيخًا كبيرًا قال اولستَ القائل

همتُ ولم افعلْ وكدتُ وليتنى تركتُ على عثمان تبكى حلائلُهْ

انّى لاحسب انّ فى قتلك صلاح المصريْن وامر به فضُربتْ رقبته وأُنهب ماله، وقيل ان عَنْبسة بن سعيد بن العاص قال للحجّاج اتعرف هذا قال لا قال هذا احد قَتَلة عثمان فقال للحجّاج اى

---

[1]) R. اثبت ; A. اشبت.

Digitized by Google

فاستوثقوا [1] واستقيموا فوالله لاذيقنّكم الهوانَ ولامرينّكم به حتّى تدرّوا ولاحوّنكم لحو العود ولاعصبنّكم عصب السَّلَمة حتّى تذلّوا ولاهربنّكم ضرب غرائب الابل [2] حتّى تذروا العصيان وتنقادوا ولاقرعنّكم قرعَ المروة حتّى تلينوا انّى والله ما اعد الّا وفيتُ ولا اخلف الّا فريتُ فاياى وهذه المجعات فلا يركبنّ رجل الّا وجده اقسم بالله لتقلبُنّ على الانصاف، ولتدعُنّ الارجاف،، وقيلًا وقالًا وما تقول وما يقول واخبرنى فلان او لادعنّ لكلّ رجل منكم شغلًا فى جسده فيمَ انتم وذاك والله لتستقيمنّ على الحقّ او لاضربنّكم بالسيف ضربًا يدَعُ النساء ايامى والولدان يتامى حتّى تذروا السّهمى وتقلعوا عن هواها الا انّه لو ساغ لاهل المعصية معصيتهم ما جيء فيئى [3] ولا قوتل عدوٌّ ولعطلت الثغور ولولا انّهم يغزون كرهًا ما غزوا طوعًا، وقد بلغنى رفضكم المهلّب واقبالكم على مصركم عاصين مخالفين وانّى اقسم بالله لا اجد احدًا من عسكره بعد ثلاثة الّا ضربتُ عُنقه وانهبت داره، ثمّ امر بكتاب عبد الملك قُرئ على اهل الكوفة فلمّا قال القارئ امّا بعد سلام عليكم فانّى احمد الله اليكم قال له اقطعْ ثمّ قال يا عبيد العصا يسلّم عليكم امير المؤمنين فلا يردّ رادّ منكم السلام امْ والله لأُدّبنّكم غير هذه الادب ثمّ قال للقارئ اقرأ فلمّا قرأ سلام عليكم قالوا باجمعهم سلام الله على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثمّ دخل منزله لم يزد على ذلك ثمّ دعا العرفاء وقال لحقوا الناس بالمهلّب وايتونى بالبراءات بموافاتهم ولا تغلقنّ ابواب الجسر [4] ليلًا ولا نهارًا حتّى تنقضى هذه المدّة ☆ تفسير هذه الخطبة، قوله انا ابن جلا فابن جلا [5] هو الصبح لانّه يجلو الظلمة، وقوله فاشتدّى زيم هو اسم للحرب والخطم الذى يحطم كلّ ما مرّ به والوضم ما وقى به

---

[1]) A. فاستوسقوا. [2]) A. غرابيب الابل. [3]) A. فئى. [4]) A. القنطر.
[5]) Vid. *Meidanii* I, pag. 46.

Digitized by Google

خارجيّه فهمّوا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم فاجتمع الناس وهو ساكت قد اطال السكوت فتناول محمّد بن عُمَيْر حصباء واراد يحصبه به وقال قاتله الله ما اغباه وانمّه والله لانّى لاحسب خبره كروائه، فلمّا تكلّم الحجّاج جعل الحصباء ينتثر من يده وهو لا يعقل به قال ثمّ كشف الحجّاج عن وجهه وقال

انا ابن جَلا وطلّاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفونى

ثم والله انّى لاحمل الشرّ محمله وآخذه بفعله واجزيه بمثله وانّى لارى رؤوسًا قد أينعتْ وقد حان قطافها انّى لانظر الى الدماء بين العمائم واللحى قد شمّرتْ عن ساقها تشميرًا [1]

هذا اوان الحرب فاشتدّى زِيَمْ قد لفّها الليل بسوّاق حُطَمْ

ليس براعى ابلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزّارٍ على لحم وَضَمْ

ثمّ قال

قد لفّها الليل بعَصْلبىّ اروعَ خرّاجٍ من الدوّىّ

مُهاجرٍ ليس باعرابىّ،

ليس اوان بكرة الخلاطِ جاءتْ به والقلّص الاعلاطِ

تهوى هوىّ سائق العُطاط،

انّى والله يا اهل العراق ما اغمزه بتغماز التين ولا يُقعْقع لى بالشنان ولقد فُرتُ من ذكاء وجربتُ الى الغاية القصوى ثمّ قرأ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ [2] وانتم اولئك واشباه اولئك انّ امير المؤمنين عبد الملك نثر كنانتَهُ فعجم عيدانَها فوجدنى امرّها عُودًا واصلبها مكسرًا فوجّهنى اليكم ورمى بى فى نحوركم فانّكم اهل بغى وخلاف وشقاق ونفاق فانّكم طالما أوضعتم فى الشرّ وسننتم سُنَن الغىّ

[1]) Cfr. *Meidanii* II, p. 244. [2]) Cor. 16, vs. 113. [3]) A. فاستوسقوا.

Digitized by Google

ذكر عدّة حوادث،

حجّ بالناس هذه السنة الحجّاج بن يوسف، وكان على قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مَخْرمة وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيْرة، وقيل انّ عبد الملك اعتمر هذه السنة ولا يصحّ، * وفيها غزا محمّد بن مروان الروم صائفة فبلغ الدَّبلية[1]، وفيها مات جابر بن سَمُرَة السوائىّ فى امارة بشر بن مروان بالكوفة وفى امارته ايضًا مات ابو جُحَيْفة بالكوفة، وفيها مات عمرو بن مَيمون الاوْدىّ وقيل سنة خمس وسبعين وكان قد ادرك الجاهليّة وهو من المعمّرين، وفيها مات عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود وكان من عُمّال عمر وقيل مات سنة ثلاث وسبعين، وفيها مات عبد الرحمان بن عثمان التَّيْمىّ وله صُحْبَة، وفيها مات محمّد بن حاطب ابن الحارث الجُمَحىّ وكان مولده بارض الحبشة واتى به النبىّ صلّعم، وفيها مات ابو سعيد بن معلى الانصارىّ، وفيها مات أَوْس بن ضمعج الكوفىّ، (ضمعج بالضاد المعجمة والجيم) ۞

ثمّ دخلت سنة خمس وسبعين، سنة ٧٥

فى هذه السنة غزا محمّد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مَرْعَش،

ذكر ولاية الحجّاج بن يوسف العراق،

فى هذه السنة ولّى عبد الملك للحجّاجَ بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان فارسل اليه عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة وامره بالمسير الى العراق فسار فى اثنى عشر راكبًا على النجائب حتّى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءةً وقد كان بشر بعث المهلّب الى الخوارج فبدأ الحجّاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثّم بعمامة خزّ حمراء فقال علىّ بالناس فحسبوه واصحابه

---

[1]) Om. C. P.

Digitized by Google

ذلك وسار الى قابس فلقيه اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصّنون من الامراء وجعل فيها عاملًا وسار الى قَفْصة ليتقرّب الطريق فاطاعه مَنْ بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونَفْراوة، وبلغ الكاهنة قدومه فاحضرت ولدَيْن لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انّى مقتولة فامضوا الى حسّان وخذوا لانفسكم منه امانًا، فساروا اليه وبقوا معه وسار حسّان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتدّ القتال وكثر القتل حتّى ظنّ الناس انّه الفناء ثمّ نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقُتلوا قتلًا ذريعًا وانهزمت الكاهنة ثمّ أُدْركتْ فَقُتلت، ثمّ انّ البربر استامنوا الى حسّان فآمنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدّتهم اثنى عشر الفًا يجاهدون العدوّ فاجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنَي الكاهنة، ثمّ فشا الاسلام فى البربر وعاد حسّان الى القيروان فى رمضان من السنة واقام لا ينازعه احد الى ان توفّى عبد الملك، فلمّا ولى الوليد بن عبد الملك ولّى افريقية عمّهُ عبد الله بن مروان فعزل عنها حسّانًا واستعمل موسى بن نُصَيْر سنة تسع وثمانين على ما نذكره ان شاء الله، وقد ذكر الواقدىّ انّ الكاهنة خرجت غضبًا لقتل كسيلة وملكت افريقية جميعها وعملت باهلها الافاعيل القبيحة وظلمتهم الظلم الشنيع ونال مَنْ بالقيروان من المسلمين اذًى شديد بعد قتل زُهَيْر بن قيس سنة سبع وستّين فاستعمل عبد الملك على افريقية حسّان بن النعمان فسار فى جيوش كثيرة وقصد الكاهنة فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقُتل منهم جماعة كثيرة وعاد حسّان منهزمًا الى نواحى برقة فاقام بها الى سنة اربع وسبعين فسيّر اليه عبد الملك جيشًا كثيفًا وامره بقصد الكاهنة فسار اليها وقاتلها فهزمها وقتلها وقتل اولادها وعاد الى القيروان، وقيل انّه لمّا قتل الكاهنة عاد من فوره الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلًا اسمه ابو صالح اليه يُنْسَب فحص صالح ☆

افريقية فدلّوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تُخْبِرهم باشياء من الغيب ولهذا سُمّيت الكاهنة وكانت بربريّة وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل اهلَ افريقية عنها فعظّموا محلّها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعدها عليك، فسار اليها فلمّا قاربها هدمت حصن باغاية ظنًّا منها انّه يريد الحصون فلم يفرج حسّان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا اشدّ قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقُتل منهم خلق كثير وانهزم حسّان وأُسر جماعة كثيرة اطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسيّ وكان شريفًا شجاعًا فاتّخذته ولدًا، وسار حسّان حتّى فارق افريقية واقام وكتب الى عبد الملك يُعْلمه الحال فامره عبد الملك بالمقام الى ان ياتيه امره، فاقام بعمل برقة خمس سنين فسُمّي ذلك المكان قصور حسّان الى الآن، وملكت الكاهنة افريقية كلّها واساءت السيرة فى اهلها وعسفتهم وظلمتهم، ثمّ سيّر اليه عبد الملك الجنود والاموال وامره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فارسل حسّان رسولًا سرًّا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب يستعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه فى رقعة يعرّفه تفرّق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة فى خُبْزه وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فما ياكل الناس، فطُلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسّان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب اوّلًا واودعه قرطاس السرج، فسار حسّان فلمّا علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت انّ العرب يريدون البلاد والذهب والفضّة ونحن انّما نريد الزرع والمراعى ولا ارى الّا اخرّب افريقية حتّى يأسوا منها، وفرّقت اصحابها ليخرّبوا البلاد فخرّبوها وهدموا الحصون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاوّل لافريقية، فلمّا قرب حسّان من البلاد لقيه جمع من اهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسرّه

Digitized by Google

الشعاب والمضائق وطلب ان يخلّى عنه وعن المسلمين ولا ياخذ منه شيئًا فأبى رتبيل وقال بل ياخذ ثلاثمائة الف درهم صلحًا ويكتب لنا به كتابًا ولا يغزو بلادنا ما كنتُ اميرًا ولا يحرق ولا يخرب ففعل وبلغ ذلك عبد الملك فعزله ❁

ذكر ولاية حسّان بن النعمان افريقية

قد ذكرنا ولاية زُهَيْر بن قيس سنة اثنتين وستّين وكان قتله سنة تسع وستّين فلمّا علم عبد الملك قتله عظم عليه وعلى المسلمين واقّه ذلك وشغله عن افريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير فلمّا قُتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهّز جيشًا كثيرًا واستعمل عليهم وعلى افريقية حسّان بن النعمان الغسّانيّ وسيّرهم اليها في هذه السنة فلم يدخل افريقية قطُّ جيش مثله، فلمّا ورد القيروان تجهّز منها وسار الى قرطاجنّة وكان صاحبها اعظم ملوك افريقية ولم يكن المسلمون قطُّ حاربوها فلمّا وصل اليها راى بها من الروم والبربر ما لا يُحصَى كثرةً فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرًا فلمّا راوا ذلك اجتمع رايهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس ودخلها حسّان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلًا ذريعًا وارسل الجيوش فيما حولها فاسرعوا اليه خوفًا فامرهم فهدموا من قرطاجنّة ما قدروا عليه، ثمّ بلغه انّ الروم والبربر قد اجتمعوا له في صَطْفورة وبَنْزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدّة وقوّة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسّان موضعًا من بلادهم الّا وطئه وخافه اهل افريقية خوفًا شديدًا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصّنوا بها وتحصّن البربر بمدينة بُونة فعاد حسّان الى القيروان لانّ الجراح قد كثر في اصحابه فاقام بها حتّى صحّوا ❁

ذكر تخريب افريقية

لمّا صلح الناس قال حسّان دُلّوني على اعظم مَنْ بقي من ملوك

بكير بمسيره ارسل الى بَحير وهو فى حبسه وقد تقدّم ذكر ذلك فى مقتل ابن خازم يطلب منه الصلح فامتنع بَحير وقال ظنّ بكير انّ خراسان تبقى له فى الجماعة، ومشت السفرآء بينهم فأبى ذلك بكير فدخل عليه ضرار بن حُصَيْن الضبّىّ فقال اراك احمق يرسل اليك ابن عمّك يعتذر اليك وانت اسيره والسيف بيده ولو قتلك ما حبقت فلا تقبل منه اقبل الصلح واخرجْ وانت على رأس امرك، فقبل منه وصالح بكيرًا فارسل اليه بكير باربعين الفًا واخذ عليه ألّا يقاتله وخرج بَحير فاقام يسأل عن مسير اميّة فلمّا بلغه انّه قد قارب نيسابور سار اليه ولقيه بها فاخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة اهلها ورفع على بكير اموالًا اخذها وحذّره غدره وسار معه حتّى قدم مروَ وكان اميّة كريمًا ولا يعرض لبكير ولا لعمّاله وعرض عليه شرطته فأبى فولّاها بَحير بن ورقاء فلام بكيرًا رجال من قومه فقال كنتُ بالامس اميرًا تحمل الحراب بين يدىّ فاصير اليوم احمل الحربة، ثمّ خيّر اميّة بكيرًا ان يولّيه ما شاء من خراسان فاختار طُخارستان قال فتجهّز لها فانفق مالًا كثيرًا فقال بَحير لاميّة انّ اتى طخارستان خلعك وحذّره فلم يولّه، (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين، وبَحير بفتح الباء الموحّدة وكسر الحاء) ☆

ذكر ولاية عبد الله بن اميّة سجستان،

لمّا وصل اميّة بن عبد الله الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلمّا قدمها غزا رتبيل الذى ملك بعد المقتول [1] الاوّل وكان رتبيل هائبًا للمسلمين فلمّا وصل عبد الله الى بُسْت ارسل رتبيل يطلب الصلح ويبذل الف الف وبعث اليه بهدايا ورقيق فأبى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملأ لى هذا الرواق ذهبًا والّا فلا صلح وكان غزا فخلّى له رتبيل البلاد حتّى اوغل فيها واخذ عليه

---

[1]) C. P. العقول.

Digitized by Google

اهل الكوفة زحر بن قيس واسحاق بن محمّد بن الاشعث ومحمّد ابن عبد الرحمان بن سعيد فاتوا الاهواز فاجتمع بها ناس كثير فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب اليهم يامرهم بالرجوع الى المهلّب وتهدّدهم ان لم يفعلوا بالضرب والقتل ويحذّرهم عقوبة عبد الملك فلمّا قرأ الرسول من الكتاب عليهم سطرًا او سطرين قال زحر اوجزْ فلمّا فرغ من قراءته لم يلتفت الناس اليه واقبل زحر ومَنْ معه حتّى نزلوا الى جانب الكوفة وارسلوا الى عمرو بن حُرَيْث انّ النفر لمّا بلغهم وفاة الامير تفرّقوا فاقبلنا الى مصرنا واحببنا أن لا ندخل الّا باذن الامير، فكتب اليهم يُنْكر عليهم عودهم ويامرهم بالرجوع الى المهلّب ولم يأذن لهم فى دخول الكوفة فانتظروا الليل ثمّ دخلوا الى بيوتهم فاقاموا حتّى قدم الحجّاج اميرًا ۞

ذكر عزل بُكَيْر عن خراسان وولاية اميّة بن عبد الله بن خالد،

فى هذه السنة عزل عبد الملك بُكَيْر بن وشاح عن خراسان وولّاها اميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكانت ولاية بكير سنتَيْن، وكان سبب عزله انّ تميمًا اختلفت بها فصارت مقاعس والبطون يتعصّبون لبكير ويطلبون بكيرًا وصارت أوْف والابناء يتعصّبون لبكير وكلّ هذه بطون من بنى تميم فخاف اهل خراسان ان تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم المشركون فكتبوا الى عبد الملك بذلك وانّها لا تصلح الّا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصّبون عليه فاستشار عبد الملك فيمن يولّيه فقال اميّة يا امير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انهزامك عن ابى فُدَيْك كنتَ لها قال يا امير المومنين والله ما انهزمتُ حتّى خذلنى الناس ولم اجد مقاتلًا فرايت انّ انحيازى الى فيئة افضل من تعرّضى عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد كتب اليك خالد بن عبد الله بعذرى وقد علم الناس ذلك، فولّاه خراسان وكان عبد الملك يحبّه فقال الناس ما راينا احدًا عوّض من هزيمة ما عوّض اميّة، فلمّا سمع

ذكر ولاية المهلّب حرب الازارقة ،

لمّا استعمل عبد الملك اخاه بِشْرًا على البصرة سار اليها فاتاه كتاب عبد الملك يامره ان يبعث المهلّب الى حرب الازارقة فى اهل البصرة ووجوههم وكان ينتخب منهم مَنْ اراد ان يتركه وراءه فى الحرب وامره ان يبعث من اهل الكوفة رجلًا شريفًا معروفًا بالبأس والنجدة والتجربة فى جيش كثيف الى المهلّب وامرهم ان يتبعوا الخوارج اين كانوا حتّى يُهْلكوهم ، فارسل المهلّب جُدَيْع بن سعيد ابن قبيصة وامره ان ينتخب الناس من الديوان وشقّ على بشر انّ امرأة المهلّب جاءت من عبد الملك فاوغرت صدره عليه حتّى كاد اذنب اليه فدعا عبد الرحمان بن مِخْنف فقال له قد عرفتَ منزلك عندى وقد رايتُ ان اولّيك هذا الجيش الذى اسيّره من الكوفة للذى عرفته منك فكنْ عند احسن ظنّى بك وانظر الى هذا لكذى كذى يقع فى المهلّب فاستبدّ عليه بالامر ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأيًا وتنقّصه ، قال عبد الرحمان فتركت ان يوصّينى بالجيش وقتال العدوّ والنظر لاهل الاسلام واقبل يغرينى بابن عمّى كانّى من السفهاء ما رايت شخصًا مثلى طمع منه فى مثل هذا قال فلمّا راى انّى لستُ بنشيط الى جوابه قال لى ما لك قلتُ اصلحك الله وهل يسعنى الّا انفاذ امرك فيما احببت وكرهت ، وسار المهلّب حتّى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج فخندق عليه واقبل عبد الرحمان فى اهل الكوفة ومعه بشر بن جَرير ومحمّد بن عبد الرحمان بن سعيد بن قيس واسحاق بن محمّد بن الاشعث وزحر ابن قيس فسار حتّى نزل على ميل من المهلّب حيث يتراى العسكران برامهرمز فلم يلبث العسكر الّا غزا حتّى اتاهم نعى بشر ابن مروان توفّى بالبصرة فتفرّق ناس كثير من اهل البصرة واهل الكوفة واستخلف بشر على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حُرَيْث ، وكان الذين انصرفوا من

Digitized by Google

بك هذا قال انت لانّك امرتَ بحمل السلاح فى بلد لا يحلّ حمله فيه وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة اشهر وقيل غير ذلك وكان عمره سبعًا وثمانين سنة، وفيها مات سَلمة بن الاكْوع، وابو سعيد الخُدْرىّ، ورافع بن خَديج، ومالك بن مِسْمع ابو غسّان البكرىّ وقيل مات سنة اربع وستّين وولد على عهد رسول الله صلّعم، وتوفّى سلم[1] بن زياد بن ابيه قبل بشر بن مروان، واسماء بنت ابى بكر بعد ابنها بقليل وكانت قد عميت وكانت مطلقة من الزبير قيل ان ابنها عبد الله قال له مثلى لا توطأ امّه فطلّقها، وفيها مات عَوْف بن مالك الاشجعىّ وكان اوّل مشاهده خَيْبر، ومعاوية بن حُدَيْج قبل ابن عمر بيسير، وفيها مات مَعْبد بن خالد الجُهَنىّ وهو ابن ثمانين سنة وله صُحْبة، وفيها قُتل عبد الرحمان بن عثمان ابن عبيد الله مع ابن الزبير وهو ابن اخى طلحة بن عبيد الله وله صحبة، (رافع بن خَديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة، ومعاوية بن حُدَيْج بضمّ الحاء وفتح الدال المهملتَيْن وآخره جيم) ❁

سنة ٧٣ ثمّ دخلت سنة اربع وسبعين،

فى هذه السنة عزل عبد الملك طارقًا عن المدينة واستعمل عليها الحجّاج فاقام بها شهرًا وفعل بالصحابة ما تقدّم ذكره وخرج عنها معتمرًا، وفيها هدم الحجّاج بناء الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه واعادها الى البناء الاوّل واخرج الحجر منها وكان عبد الملك يقول كذب ابن الزبير على عائشة فى انّ الحجر من البيت فلمّا قيل له قال غير ابن الزبير انّها روتْ ذلك عن رسول الله صلّعم قال وددتُ انّى تركته وما يحمّل، وفيها استقضى عبد الملك ابا ادريس الخَوْلانىّ ❁

---

[1]) A. et R. مسلم.

Digitized by Google

واصطفوا للقتال فحمل ابو فُدَيْك واصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتّى ابعدوا الى المغيرة بن المهلّب ومُجّاعة بن عبد الرحمان وفرسان الناس فانّهم مالوا الى صفّ اهل الكوفة بالميمنة وجُرح عمر بن موسى، فلمّا راى اهل الميسرة اهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم امير لانّ اميرهم عمر بن موسى كان جريحًا فحملوه معهم واشتدّ قتالهم حتّى دخلوا عسكر الخوارج وحمل اهل الكوفة من الميمنة ومَنْ معهم من اهل الميسرة حتّى استباحوا عسكرهم وقتلوا ابا فُدَيْك وحصروا اصحابه بالمُشَقَّر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستّة آلاف واسر ثمانمائة ووجدوا جارية عبد الله بن اميّة حبلى من ابى فديك وعادوا الى البصرة ۞

ذكر عدّة حوادث،

فى هذه السنة عزل عبد الملك خالدَ بن عبد الله عن البصرة وولّاها اخاه بِشْرًا فى قول بعضهم فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة فسار بشر الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حُرَيْث، وفيها غزا محمّد بن مروان الروم صائفة فهزمهم، وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية ارمينية فى اربعة آلاف والروم فى ستّين الفًا فهزمهم واكثر القتل فيهم، وحجّ بالناس هذه السنة الحجّاج وكان على مكّة واليمن واليمامة، وكان على الكوفة والبصرة فى قول بعضهم بشر بن مروان وقيل كان على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيْرة وعلى خراسان بُكَيْر بن وشاح[1]، وفى هذه السنة مات عبد الله بن عمر بمكّة ودُفن بذى طُوًى وقيل بفَخّ وكان سبب موته انّ الحجّاج امر بعض اصحابه فضرب ظهر قدمه بزجّ رمح مسموم فمات منها وعاده الحجّاج فى مرضه فقال مَنْ فعل

---

[1]) R. وسّاج; C. P. sine punctis.

Digitized by Google

رايتك افسدت على ابنى دنياه وافسد عليك آخرتك فانّ رسول الله صلعم حدّثنا انّ فى ثقيف كذّابًا مبيرًا ياتيه هذا الكذّاب فقد راينا تعنى المختار واماّ المبير فانت هو، وهذا حديث صحيح اخرجه مسلم فى صحيحه، وقال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر اتذكر يومَ لقينا رسول الله صلّعم انا وانت فاخذ بنى فاطمة فقال نعم فحملنا وتركك ولو علم انّه يقول له هذا ما سأله ۞

ذكر ولاية محمّد بن مروان الجزيرة وارمينية،

وفى هذه السنة استعمل عبد الملك اخاه محمّدًا على الجزيرة وارمينية فغزا منها واثخن العدوّ وكانت بُحَيْرة الطّريخ لله بارمينية مباحة لم يعرض لها احد بل ياخذ منها من شاء فمنع من صيدها وجعل عليها مَنْ ياخذه ويبيعه وياخذ ثمنه ثمّ صارت بعده لابنه مروان ثمّ أُخذت منه لمّا انتقلت الدولة عنهم وهى الى الآن على هذه الحال من الحجر ومَنْ سنّ سُنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اوزارهم شىء، وهذا الطّريخ من عجائب الدنيا لانّه سمك صغير له كلّ سنة موسم يخرج من هذه البحيرة فى نهر يصبّ اليها كثيرًا يُوخذ بالايدى والآلات المصنوعة له فاذا انقضى موسمه لا يوجد منه شىء ۞

ذكر قتل ابى فُدَيْك الخارجىّ

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نَجْدة بن عامر الخارجىّ وطاعة اصحابه ابا فُدَيْك وثبت قدم ابى فديك الى الآن فامر عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله بن مَعْمَر ان يندب الناس من اهل الكوفة والبصرة ويسير الى قتاله فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فاخرج لهم ارزاقهم ثمّ سار بهم وجعل اهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمّد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله واهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن مَعْمَر وهو ابن اخى عمر وجعل خيله فى القلب وساروا حتّى انتهوا الى البحرين فالتقوا

Digitized by Google

قسّم عبد الله الدهر ثلاث حالات فليلة قائم حتّى الصباح وليلة راكع حتّى الصباح وليلة ساجد حتّى الصباح، وقيل اوّل ما علم من همّة ابن الزبير انّه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبيّ فمرّ به رجل فصاح عليهم ففرّوا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال يا صبيان اجعلوني اميركم وشدّوا بنا عليه ففعلوا، ومرّ به عمر بن الخطّاب وهو يلعب ففرّ الصبيان ووقف هو فقال له عمر ما لك لم تفرّ معهم فقال لم اجرم فاخافك ولم يكن الطريق ضيّقة فاوسع لك، وقال قَطَن بن عبد الله كان ابن الزبير يواصل من الجُمْعة الى الجمعة، قال خالد بن ابى عمران كان ابن الزبير يفطّر فى الشهر ثلاثة ايّام ومكث اربعين سنة لم ينزع *ثيابه عن ظهره[1]، وقال مُجاهد لم يكن باب من ابواب العبادة يعجز عنه النّاس الّا تكلّفه ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحةً، قال هشام بن عُرْوة كان اوّل ما افصح به عمّى عبد الله ابن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من يده فكان الزبير يقول والله ليكوننّ لك منه يوم وايّام، قال ابن سيرين قال ابن الزبير ما شيء كان يحدّثنا به كعب الّا وقد جاء على ما قال الّا قوله فتى ثقيف يقتلنى وهذا رأسه بين يدىّ يعنى المختار قال ابن سيرين ولا يشعر ابن الزبير انّ للحجّاج قد خبى له، وقال عبد العزيز بن ابى جَميلة الانصارىّ انّ ابن عمر مرّ بابن الزبير وهو مصلوب بعد قتله فقال رحمك الله ابا خُبَيْب انّك كنت لصوّاما قوّاما ولقد افلحت قريش ان كنتَ شرّها، وكان للحجّاج قد صلبه ثمّ القاه فى مقابر اليهود وارسل الى امّه يستحضرها فلم تحضر فارسل اليها لتاتينى او لابعثنّ اليك من يسحبك بقرونك فلم تاته فقام اليها فلمّا حضر قال لها كيف رايتينى صنعتُ بعبد الله قالت

---

[1]) C. P. شوبه عن صدره.

Digitized by Google

عبد الله بن الزبير أُلقى فى مقابر اليهود وعاشت امّه بعده قليلاً وماتت وكانت قد اضرّت وفى أمّ عروة ايضًا ، فلمّا فرغ للحجّاج من امر ابن الزبير دخل مكّة فبايعه اهلها لعبد الملك بن مروان وامر بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وسار الى المدينة وكان عبد الملك قد استعمله على مكّة والمدينة فلمّا قدم المدينة اقام بها شهرًا او شهرَيْن فناساء الى اهلها واستخفّ بهم وقال انتم قَتَلة امير المؤمنين عثمان وختم ايدى جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافًا بهم كما يفعل باهل الذمّة منهم جابر بن عبد الله وأَنَس بن مالك وسهل بن سعد ثمّ عاد الى مكّة فقال حين خرج منها الحمد لله الذى اخرجنى من * امّ نتن[1] اهلها اخبث بلد واغشّه لامير المؤمنين واحسدهم له على نعمة الله والله لو ما كانت تاتيهنى كتب امير المؤمنين فيهم لجعلتُها مثل جوف الحمار اعوادًا يعودون بها ورمّة قد بليت يغولون[2] منبر رسول الله صلّعم * وقبر رسول الله صلّعم[3] ، فبلغ جابرَ بن عبد الله قوله فقال انّ وراءه ما يسوءه قد قال فرعون ما قال ثمّ اخذه الله بعد ان انظره ، وقيل انّ ولاية الحجّاج المدينة وما فعله باصحاب رسول الله صلّعم كان سنة اربع وسبعين فى صفر ، (خُبَيْب بن عبد الله بن الزبير بضمّ الخاء المعجمة وبباءَيْن موحّدتين بينهما ياء مثنّاة من تحت وكان عبد الله يكنّى به وباقى بكر ايضًا) *

ذكر عمر ابن الزبير وسيرته ،

كان له من العمر حين قُتل اثنتان وسبعون سنة وكانت خلافته تسع سنين لانّه بويع له سنة اربع وستّين وكانت له جمّة مفروقة طويلة ، قال يحيى بن وثاب كان ابن الزبير اذا سجد وقعت العصافير على ظهره تظنّه حائطًا لسكونه وطول سجوده ، وقال غيره

---

[1]) A. et C. P. بين. [2]) A. تقولون. [3]) Om. C. P. et R.

Digitized by Google

للحجّاج صلب معه كلبًا ميّتًا فغلب على ريح المسك وقيل بل صلب معه سنّورًا [1] ، ولمّا قُتل عبد الله ركب اخوه عُرْوَة ناقة لم ير مثلها فسار الى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجّاج بقتل عبد الله فاتى باب عبد الملك فاستاذن عليه فاذن له فلمّا دخل سلّم عليه بالخلافة فردّ عليه عبد الملك ورحّب به وعانقه واجلسه على السرير فقال عُرْوَة

نمّت بارحام اليك قريبة ولا قرب للارحام ما لم تقرّب ،

ثم تحدّثا حتّى جرى ذكر عبد الله فقال عُرْوَة انّه كان فقال عبد الملك وما فعل قال قُتل فخرّ ساجدًا فقال عُرْوَة انّ الحجّاج صلبه فهبْ جثّته لامّه قال نعم وكتب الى الحجّاج يعظّم صلبه ، وكان الحجّاج لمّا فقد عُرْوَة كتب الى عبد الملك يقول له انّ عروة كان مع اخيه فلمّا قُتل عبد الله اخذ مالًا من مال الله فهرب، فكتب اليه عبد الملك انّه لم يهرب ولكنّه اتانى مبايعًا وقد آمنتُهُ وحلّلته ممّا كان وهو قادم عليك فاياك وعروة ، وعاد عروة الى مكّة وكانت غيبته عنها ثلاثين يومًا ، فانزل الحجّاج جثّة عبد الله عن الخشبة وبعث به الى امّه فغسلته فلمّا اصابه الماء تقطّع فغسلته عضوًا عضوًا فاستمسك وصلّى عليه عروة فدفنته ، وقيل انّ عروة لمّا كان غائبًا عند عبد الملك كتب اليه الحجّاج وعاوده فى انفاذ عروة اليه فهمّ عبد الملك بانفاذه فقال عروة ليس الذليل مَنْ قتلتموه ولكنّ الذليل مَنْ ملكتموه وليس بملوم مَنْ صبر فمات ولكنّ الملوم مَنْ فرّ من الموت ، فسمع مثل هذا الكلام فقال عبد الملك يا ابا عبد الله لئن تسمع منّا شيئًا تكرهه ، وانّ عبد الله لم يصلّ عليه احد منع الحجّاج من الصلوة عليه وقال انّما امر امير المؤمنين بدفنه وقيل صلّى عليه غير عروة والذى ذكره مسلم فى صحيحه انّ

---

[1]) Om. C. P.

Digitized by Google

على وجهه قال

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا تقطر الدما ·

وقاتلهم قتالًا شديدًا فتعاودوا عليه فقتلوه يوم الثلثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة وتولّى قتله رجل من مُراد وحمل رأسه الى الحجّاج فسجد ووفد السكونىّ والمُرادىّ الى عبد الملك بالخبر فاعطى كلّ واحد منهما خمسمائة دينار، وسار الحجّاج وطارق حتّى وقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجّاج اتمدح مخالف امير المؤمنين قال نعم هو اعذر لنا ولولا هذا لما كان لنا عذر انّا محاصروه منذ سبعة اشهر وهو فى غير جند ولا حصن ولا منعة فينتصف منّا بل يفصل[1] علينا، فبلغ كلامهما عبد الملك فصوّب طارقًا، ولمّا قُتل ابن الزبير كبّر اهل الشام فرحًا بقتله فقال ابن عمر انظروا الى هؤلاء ولقد كبّر المسلمون فرحًا بولادته وهولاء يكبّرون بقتله، وبعث الحجّاج برأسه ورأس عبد الله بن صَفْوان ورأس عُمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة ثمّ ذهب بها الى عبد الملك بن مروان واخذ جثّته فصلبها على الثنيّة اليمنى بالحجون، فارسلت اليه اسماء قاتلك الله على ما ذا صلبتَهُ قال استبقتُ انا وهو الى هذه الخشبة وكانت له فاستأذنتُه فى تكفينه ودفنه فأبى ووكّل بالخشبة مَنْ يحرسها وكتب الى عبد الملك يُخبره بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول الا خلّيت بينه وبين امّه فاذن لها الحجّاج فدفنته بالحجون فمرّ به عبد الله بن عمر فقال السلام عليك يا ابا خُبَيْب اما والله لقد كنتُ انهاك عن هذا ولقد كنتَ صوّامًا قوّامًا وصولًا للرحم اما والله انّ قومًا انت شرّهم لنعم القوم، وكان ابن الزبير قبل قتله بقى ايّامًا يستعمل الصبر والمسك لئلّا ينتن فلمّا صُلب ظهرت منه رائحة المسك، * فقيل انّ

---

[1]) C. P. يقفل.

Digitized by Google

اثر القوم حتّى يُخْرجهم ثمّ يصبح ابا صفوان ويل امّه فتحًا لو كان له رجال او كان قرن واحدًا كفيتنه فيقول ابو صفوان عبد الله بن صفوان بن اميّة بن خَلَف اى والله والـف، فلمّا راى الحجّاج انّ الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجّل واقبل يسوق الناس ويصمد بهم صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه، فقدّم ابن الزبير على صاحب علمه وضاربهم وانكشفوا وعرج وصلّى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند باب بنى شَيْبة وصار العلم بايدى اصحاب الحجّاج، فلمّا فرغ من صلوته تقدّم فقاتل بغير علم فضرب رجلًا من اهل الشام وقال خذْها وانا ابن الحوارىّ وضرب آخر وكان جبيشًا فقطع يده وقال اصبر ابا حُمَة اصبر ابن حام وقاتل معه عبد الله بن مُطيع وهو يقول

انا الذى فررتُ يومَ الحَرّة والحُرّ لا يفرّ الّا مرّة
واليوم اجزى فرّة بكرّة،

وقاتل حتّى قُتل وقيل انّه اصابتْهُ جراح فمات منها بعد ايّام، وقال ابن الزبير لاصحابه واهله يومَ قُتل بعد صلوة الصبح اكشفوا وجوهكم حتّى انظر اليكم وعليهم المغافر ففعلوا فقال يا آل الزبير لو طِبْتم فى نفسًا[1] عن انفسكم كنّا اهل بيت من العرب اصطلحنا فى الله فلا يرعكم وقع السيوف فانّ الم الدواء للجراح اشدّ من الم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم غضّوا ابصاركم من البارقة وليشغلْ كلّ امرئ قرنه ولا تسألوا عنّى فمَنْ كان سائلًا عنّى فانّى فى الرعيل الاوّل احملوا على بركة الله، ثمّ حمل عليهم حتّى بلغ بهم الحجون فرُمى بآجرّة رماه رجل من السكون فاصابته فى وجهه فارعش لها ودمى وجهه فلمّا وجد الدم

---

[1]) R. نفسى.

Digitized by Google

والمدينة وبرّة بابيه وقد اللهمّ قد سلّمتُهُ لامرك فيه ورضيتُ بما قضيتَ فاثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين، فتناول يديها ليقبّلهما فقالت هذا وداع فلا تبعد، فقال لها جئتُ مودّعًا لانّي ارى هذا آخر ايّامي من الدنيا، قالت امض على بصيرتك وادنُ منّي حتى اودّعك، فدنا منها فعانقها وقبّلها فوقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا صنيع مَنْ يريد ما تريد، فقال ما لبسته الّا لاشدّ منّك قالت فانّه لا يشدّ منّي فنزعها ثمّ درج كُمّيه وشدّ اسفل قميصه وجبّة خزّ تحت ثناء السراويل وادخل اسفلها تحت المنطقة وامّه تقول له البس ثيابك مشمّرة فخرج وهو يقول

انّي اذا اعرف يومي اصبر وانّما يعرف يومه الحُرّ

اذ بعضهم يعرف ثمّ ينكر،

فسمعتْهُ فقالت تصبر ان شاء الله ابواك ابو بكر والزبير وامّك صفيّة بنت عبد المطّلب، فحمل على اهل الشام * حملة منكرة فقتل منهم ثمّ انكشف هو واصحابه وقال له بعض اصحابه لو لحقتَ بموضع كذا قال بئس الشيخ انا اذًا في الاسلام لئن اوقعتُ قومًا فقتلوا ثمّ فررتُ عن مثل مصارعهم، ودنا اهل الشام [1] حتّى امتلأت منهم الابواب وكانوا يصيحون به يا ابن ذات الناطقَيْن فيقول

وتلك شكاة ظاهرًا عنك عارها،

وجعل اهل الشام على ابواب المساجد رجلًا من اهل كلّ بلد فكان لاهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولاهل دمشق باب بني شَيْبة ولاهل الاردنّ باب الصفا ولاهل فلسطين باب بني جُمَح ولاهل قنّسرين باب بني تميم وكان الحجّاج وطارق من ناحية الابطح الى المروة فمرّة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرّة في هذه الناحية فكانّه اسد في اجمه ما يقدم عليه الرجال يعدو في

---

[1]) Om. C. P.

Digitized by Google

ولدى واهلى ولم يبق معى الّا اليسير ومَنْ ليس عنده اكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما اردتُ من الدنيا فما رايك، فقالت انت اعلم بنفسك ان كنتَ تعلم انّك على حقّ واليه تدعو فامضِ له فقد قُتل عليه اصحابك ولا تمكّنْ من رقبتك يتلعّب بها غلمان بنى اميّة وان كنتَ انّما اردتَ الدنيا فبئس العبد انت اهلكتَ نفسك ومَنْ قُتل معك وان قلتَ كنتُ على حقّ فلمّا وهن اصحابى ضعفتُ فهذا ليس فعْل الاحرار ولا اهل الدين كم خلود فى الدنيا القتل احسن، فقال يا امّاه اخاف ان قتلنى اهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى، قالت يا بنىّ انّ الشاة لا تتألّم بالسلخ فامضِ على بصيرتك واستعِنْ بالله، فقبّل رأسها وقال هذا رايى والذى خرجتُ به دائمًا الى يومى[1] هذا ما ركنتُ الى الدنيا ولا احببتُ الحيوة فيها وما دعانى الى الخروج الّا الغضب لله وان تستحلّ حرماته * ولكنّى احببتُ ان اعلم رايك فقد زدتّنى بصيرة فانظرى يا امّاه فانّى مقتول فى يومى هذا فلا اشتدّ حزنك[2] وسلّمى لامر الله فانّ ابنك لم يتعمّد أيثار منكر ولا عملًا بفاحشة ولم يجُرْ فى حكم الله ولم يغدر فى امان ولم يتعمّد ظلم مسلم او معاهد ولم يبلغنى ظلم عن عُمّالى فرضيتُ به بل انكرته ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربّى اللهمّ لا اقول هذا تزكية لنفسى ولكنّه اقوله تعزية لامّى حتّى تسلو عنّى، فقالت امّه لارجو ان يكون عزائى فيك جميلًا ان تقدّمتنى احتسبتك وان وظغرتَ سررتُ بظفرك اخرجْ حتّى انظر الى ما يصير امرك، فقال جزاك الله خيرًا فلا تدّعى الدعاء لى، قالت لا ادّعه لك ابدًا فمن قتل على باطل فقد قُتلتَ على حقّ، ثمّ قالت اللهمّ ارحم طول ذاك القيام فى الليل الطويل وذلك النحيب والظماء فى هواجر مكّة

---

[1]) A. et R. قومى. [2]) Om. R.

Digitized by Google

تنكروا هذا فانّى ابن تهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فابشروا، فلمّا كان الغد جاءت الصاعقة فاصابت من اصحاب ابن الزبير عدّة فقال للحجّاج ألا ترون انّهم يُصابون وانتم على الطاعة وهم على خلافها، وكانت الحجر تقع بين يدى ابن الزبير وهو يصلّى فلا ينصرف وكان اهل الشام يقولون

يا ابن الزبير طالما عصيكا[1] وطالما عينتنا اليكا لتجرينّ بالذى اتيكا،

يعنون عصيت واتيت، وقدم عليه قوم من الاعراب فقالوا قدمنا لقتال معك فنظر فاذا مع كلّ امرء منهم سيف كانّه شُفْرة وقد خرج من غمده فقال يا معشر الاعراب لا قرّبكم الله فوالله انّ سلاحكم لرثّ، وانّ حديثكم لغثّ، وانّكم لقتال فى الجدب، اعداء فى الخصب، فتفرّقوا ولم يزل القتال بينهم دائمًا فغلت الاسعار عند ابن الزبير واصاب الناس مجاعة شديدة حتّى ذبح فرسه وقسم لحمها فى اصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمدّ الذرة بعشرين درهمًا وانّ بيوت ابن الزبير لمملوّة قمحًا وشعيرًا وذرة وتمرًا وكان اهل الشام ينتظرون فناء ما عنده وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه الّا ما يمسك الرمق ويقول انفس اصحابى قوية ما لم يغن، فلمّا كان قُبَيْل مقتله تفرّق الناس عنه وخرجوا الى الحجّاج بالامان خرج من عنده نحو عشرة آلاف وكان ممّن فارقه ابناه حمزة وخُبَيْب اخذا لانفسهما امانًا فقال عبد الله لابنه الزبير خذْ لنفسك امانًا كما فعلا اخواك فوالله انّى لاحبّ بقاءكم، فقال ما كنتُ لارغب بنفسى عنك فصبر معه فقُتل، ولمّا تفرّق اصحابه عنه خطب الحجّاج الناس وقال قد ترون قلّة مَنْ مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق، ففرحوا واستبشروا فتقدّموا فملأوا ما بين الحجون الى الابواب، فدخل على امّه فقال يا امّاه قد خذلنى الناس حتى

---

[1]) R. عصيناك.

Digitized by Google

طارق يامره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين واخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلًا من اهل الشام اسمه ثعلبة فكان ثعلبة يُخرج المخّ وهو على منبر النبىّ صلعم ثمّ يأكله ويأكل عليه التمر ليغيظ اهل المدينة وكان مع ذلك شديدًا على اهل الزبير وقدم طارق على الحجّاج بمكّة فى سلخ ذى الحجّة فى خمسة آلاف، واما الحجّاج فانّه قدم مكّة فى ذى القعدة وقد احرم بحجّه فنزل بئر ميمون وحجّ بالناس تلك السنة الحجّاج الّا انّه لم يطُف بالكعبة ولا سعى بين الصفى والمروة منعه ابن الزبير من ذلك فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قُتل ابن الزبير ولم يحجّ ابن الزبير ولا اصحابه لانّهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا بالحجار ونحر ابن الزبير بدنه بمكّة، ولمّا حصر الحجّاج ابن الزبير نصب المنجنيق على ابى قُبَيْس ورمى به الكعبة وكان عبد الملك يُنْكر ذلك ايّام يزيد بن معاوية ثمّ امر به فكان الناس يقولون خذل فى دينه، وحجّ ابن عمر تلك السنة فارسل الى الحجّاج أن اتّق الله واكفُف هذه الحجارة عن الناس فانّك فى شهر حرام وبلد حرام وقد قدمتْ وفود الله من اقطار الارض ليأدّوا فريضة الله ويزدادوا خيرًا وانّ المنجنيق قد منعهم عن طواف فاكفُف عن الرمى حتّى يقضوا ما يجب عليهم بمكّة، فبطل الرمى حتّى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاجّ من الطواف والسعى فلمّا فرغوا من طواف الزيارة نادى منادى الحجّاج انصرفوا الى بلادكم فانّا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد، واوّل ما رمى بالمنجنيق الى الكعبة رعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة فاعظم ذلك اهل الشام وامسكوا ايديهم فاخذ الحجّاج حجر المنجنيق بيده فوضعها فيه ورمى بها معهم فلمّا اصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من اصحابه اثنى عشر رجلًا فانكسر اهل الشام فقال الحجّاج يا اهل الشام لا

Digitized by Google

بقدك يعسفون الناس فقاتلوهم فانهزم اصحاب ابى القمقام وأُسر منهم ثلاثون رجلًا فقتلوا صبرًا، وقيل بل قُتل الخمسمائة او اكثر، ووجّه عبد الملك طارق بن عمرو مولى عثمان وامره ان ينزل بين أيلة ووادى القرى ويمنع عُمّال ابن الزبير من الانتشار ويسدّ خللًا ان ظهر له، فوجّه طارق الى ابى بكر خيلًا فاقتتلوا فأُصيب ابو بكر فى المعركة وأُصيب من اصحابه اكثر من مائتَىْ رجل، وكان ابن الزبير قد كتب الى القُباع أيّام كان عامله على البصرة يامره ان يرسل اليه الفَىْ فارس ليعينوا عامله على المدينة فوجّه اليه الفَىْ رجل فلمّا قُتل ابو بكر امر ابن الزبير جابر بن الاسود ان يسيّر جيش البصرة الى قتال طارق فسار البصريّون عن المدينة وبلغ طارقًا الخبر فسار نحوه فالتقيا فقُتل مقدّم البصريّين وقُتل اصحابه قتلًا ذريعًا وطلب طارق مدبرهم واجهز على جريحهم ولم يستبق اسيرهم، ورجع طارق الى وادى القرى وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الاسود وعزل ابن الزبير جابرًا واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عَوْف الذى يُعْرَف بطلحة الندى سنة سبعين فلم يزل على المدينة حتّى اخرجه طارق، فلمّا قتل عبد الملك مصعبًا واتى الكوفة وجّه منها الحجّاج بن يوسف الثقفىّ فى الفَيْن وقيل فى ثلاثة آلاف من اهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير، وكان السبب فى تسييره دون غيره انّه قال لعبد الملك قد رايتُ فى المنام انّى اخذتُ عبد الله بن الزبير فسلختُه فابعثنى اليه وولّنى قتاله، فبعثه وكتب معه امانًا لابن الزبير ومَنْ معه ان اطاعوا، فسار فى جمادى الاولى سنة اثنتَيْن وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويبعث ابن الزبير ايضًا فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير فى كلّ ذلك وتعود خيل الحجّاج بالظفر، ثمّ كتب الحجّاج الى عبد الملك يستأذنه فى دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويُخبره بضعفه وتفرّق اصحابه ويستمدّه فكتب عبد الملك الى

Digitized by Google

ذكر عدّة حوادث

كان العامل على المدينة طارقًا لعبد الملك وعلى الكوفة بِشْر ابن مروان وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضائها هشام بن هُبَيْرة وعلى خراسان فى قول بعضهم بُكَيْر بن وِشاح وفى قول بعضهم عبد الله ابن خازم، وفى هذه السنة مات عَبِيدة السلمانىّ وهو من اصحاب علىّ، (عَبِيدة بفتح العين وكسر الباء الموحّدة) ☆

ثمّ دخلت سنة ثلاث وسبعين، سنة ٧٣

ذكر قتل عبد الله بن الزُّبَيْر،

لمّا بويع عبد الملك بالشام بعث الى المدينة عُرْوَة بن أُذَيْف فى ستّة آلاف من اهل الشام وامره ان لا يدخل المدينة وان يعسكر بالعَرْصة وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحارث ابن حاطب بن الحارث بن مَعْمَر الجُمَحىّ فهرب الحارث وكان ابن أُذَيْف يدخل ويصلّى بالناس الجُمُعَة ثمّ يعود الى معسكره فاقام شهرًا ولم يبعث اليهم ابن الزبير احدًا، وكتب اليه عبد الملك بالعود اليه فعاد هو ومَنْ معه وكان يصلّى بالناس بعده عبد الرحمان ابن سعد القُرَظىّ ثمّ عاد الحارث الى المدينة وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزُّرَقىّ الانصارىّ وكان رجلًا صالحًا عاملًا على خَيبر وفَدَك فنزل فى عمله فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحارث بن الحَكَم وقيل اسمه عبد الملك وهو اصحّ فى اربعة آلاف فسار حتّى نزل وادى القُرى وسيّر سريّة عليها ابو القمقام فى خمسمائة الى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فادركوه فقتلوه ومن معه، فاغتمّ عبد الملك بن مروان بقتله وقال قتلوا رجلًا مسلمًا صالحًا بغير ذنب، وعزل ابن الزبير الحارث واستعمل مكانه جابر بن الاسود ابن عَوْف الزُّهْرىّ فوجّه جابر ابا بكر بن ابى قيس فى ستّمائة فارس واربعين فارسًا الى خَيبر فوجدوا ابا القمقام ومَنْ معه مقيمين

Digitized by Google

الملك الى بُكَيْر بن وِشاح وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومنّاه فخلع بكير عبدَ الله بن الزُّبَيْر ودعا الى عبد الملك فاجابه اهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف ان ياتيه بكير فيجتمع عليه اهل مرو واهل نيسابور فترك بَحيرًا واقبل الى مرو ويزيد ابنه بترْمِذ فاتبعه بَحير فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو فقاتله ابن خازم فقُتل ابن خازم وكان الذى قتله وَكيع بن عمرو القُرَيْعيّ اعثروه وكيع وبَحير بن ورقاء وعمّار بن عبد العزيز فطعنوه فصرعوه وقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلتَهُ قال غلبتُهُ بنصل القناه فلمّا صُرع قعدتُ على صدره فلم يقدر يقوم وقلتُ يا لثارات دوبلة وهو اخو وكيع لامّه قُتل فى بعض تلك الحروب قال وكيع فتنخّم فى وجهى وقال لعنك الله اتقتل كبش مُضَر باخيك وهو لا يساوى كفًّا من قوى او قال من تراب قال فما رايتُ اكثر ريقًا منه على تلك الحال عند الموت، وبعث بَحير ساعةَ قُتل ابن خازم الى عبد الملك يُخْبره بقتله ولم يبعث بالرأس وبعث بَحير بُكَيْر بن وشاح فى اهل مرو فوافاهم حين قُتل ابن خازم فاراد اخذ الرأس وانفاذه الى عبد الملك فمنعه بكير فضربه بكير بعمود وحبسه وسيّر الرأس الى عبد الملك وكتب اليه يُخْبره انّه هو الذى قتله، فلمّا قدم الرأس دعا عبد الملك برسول بحير وقال ما هذا قال لا ادرى وما فارقت القوم حتّى قتل ابن خازم، وقيل انّ ابن خازم انّما قُتل بعد قتْل عبد الله بن الزُّبَيْر وانّ عبد الملك انفذ اليه رأس ابن الزبير ودعاه الى نفسه فغسل الرأس وكفّنه وبعثه الى اهله بالمدينة واطعم الرسول الكتاب وقال لولا انّك رسول لقتلتك وقيل بل قطع يدَيْه ورجليه وقتله وحلف ان لا يطيع عبد الملك ابدًا، (بَحير بفتح الباء الموحّدة وكسر الحاء المهملة) ✿

بقتال جماعة الناس فارسل خالد داوود بن قحذم في آثارهم وانصرف خالد الى البصرة وسار عبد الرحمان الى الرىّ واقام المهلّب بالاهواز وكتب خالد الى عبد الملك بذلك، فلمّا وصل كتابه الى عبد الملك كتب الى اخيه بشر يامره ان يبعث اربعة آلاف فارس من اهل الكوفة مع رجل بصير بالحرب الى فارس فى طلب الازارقة ويامر صاحبه بموافقة داوود بن قحذم ان اجتمعا، فبعث بشر عتّاب بن ورقاء فى اربعة آلاف فارس من اهل الكوفة فساروا حتّى لحقوا داوود فاجتمعوا ثمّ اتبعوا الخوارج حتّى هلكت خيول عامّتهم واصابهم الجوع والجهد ورجع عامّة الجيشين مُشاة الى الاهواز، وفى هذه السنة كان خروج ابى فُدَيْك الخارجىّ وهو من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البَحْرَيْن وقتل نَجْدة بن عامر الحنفىّ فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قَطَرىّ الاهواز وامر ابى فُدَيْك فبعث اخاه اميّة بن عبد الله فى جند كثيف الى ابى فديك فهزمه ابو فديك واخذ جاريته له فاتّخذها لنفسه فكتب خالد الى عبد الملك بذلك ۞

ذكر قتل عبد الله بن خازم،

ولمّا قُتل مُصْعَب كان ابن خازم يقاتل بَحير بن ورقاء الصُّرَيْمىّ التميمىّ بنيسابور فكتب عبد الملك الى ابن خازم يدعوه الى البيعة له ويُطْعمه[1] خراسان سبع سنين وارسل الكتاب مع سوادة ابن اشتم النُّمَيْرىّ وقيل مع مُكمّل الغَنَوىّ فقال ابن خازم لولا ان اعرب بين سُلَيْم وعامر لقتلتك ولكن كلْ كتابك فاكله، وقيل بل كان الكتاب مع سوادة بن عبيد الله النميرىّ وقيل مع مكمّل الغنوىّ فقال له ابن خازم انّما بعثك ابو الذبان لانّك من غنىّ وقد علم انّى لا اقتل رجلًا من قيس ولكن كلْ كتابه، وكتب عبد

---

[1]) R. ويطعمه.

Digitized by Google

من بين ذى عطش يجود بنفسه وملحّب بين الرجال قتيل
هلّا صبرتَ مع الشهيد مقاتلًا اذ رحْتَ منتكث القرى باصيل
وتركتَ جيشَك لا اميرَ عليهمُ فارجعْ بعارٍ فى الحيوة طويل
ونسيتَ عرسَك اذ تقاد سبيّةً تبكى العيون برنّة وعويل،

فكتب خالد الى عبد الملك يُخْبره بذلك فكتب اليه عبد الملك قد عرفتُ ذلك وسألتُ رسولك عن المهلّب فاخبرنى انّه عامل على الاهواز فقبّح الله رايَك حين تبعث اخاك اعرابيًّا من اهل مكّة على القتال وتدَعُ المهلّبَ يجبى الخراج وهو الميمون النقيبة القاسى للحرب ابنها وابن ابنائها ارسلْ الى المهلّب يستقبلهم وقد بعثتُ الى بِشْر بالكوفة ليمدّك بجيش فسِرْ معهم ولا تعملْ فى عدوّك برأى حتّى يحضره المهلّب والسلام، وكتب عبد الملك الى بِشْر اخيه بالكوفة يامره بانفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج فاذا قضوا غزوتهم ساروا الى الرىّ فقاتلوا عدوّهم وكانوا مسلحةً، فبعث بشر خمسة آلاف وعليهم عبد الرحمان بن محمّد بن الاشْعث فكتب له عهدًا على الرىّ عند الفراغ من قتاله، وخرج خالد باهل البصرة حتّى قدم الاهواز وقدمها عبد الرحمان بن محمّد فى اهل الكوفة وجاءت الازارقة حتّى دنوا من الاهواز فقال المهلّب لخالد انّى ارى هاهنا سفنًا كثيرة فضمّها اليك فانّهم سيحرقونها فلم يمض الّا ساعة حتّى ارسلوا اليها فاحرقوها، وجعل خالد المهلّب على ميمنته وعلى ميسرته داوُد بن قحذم من بنى قيس بن ثعلبة ومرّ المهلّب على عبد الرحمان بن محمّد ولم يخندق عليه فقال ما يمنعك من الخندق فقال ثم اهون علىّ من ضرط الجمل قال لا يهولوا عليك فانّهم سباع العرب، ولم يبرح المهلّب حتّى خندق عبد الرحمان عليه فاقاموا نحوًا من عشرين ليلة ثمّ زحف خالد اليهم بالناس فراوا امرًا هالهم من كثرة الناس فكثرت عليهم الخيل وزحفت اليهم فانصرفوا كانّهم على حامية وهم موتّون لا يرون طاقة

Digitized by Google

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ٧٢ سنة

ذكر امر الخوارج

لمّا استقرّ عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب استعمل خالد ابن عبد الله على البصرة فلمّا قدمها خالد كان المهلّب يحارب الازارقة فجعله على خراج الاهواز ومعونتها وسيّر اخاه عبد العزيز ابن عبد الله الى قتال الخوارج وسيّر معه مُقاتل بن مِسْمع فخرجا يطلبان الازارقة فانت الخوارج من ناحية كرمان الى دارابْجرد وارسل قَطَرِيّ بن الفُجاءة المازنيّ مع صالح بن مخارق تسعمائة فارس فاقبل يسير بهم حتّى استقبل عبد العزيز وهو يسير مهلًا على غير تعبية فانهزم بالناس ونزل مُقاتل بن مِسْمع حتّى قُتل وانهزم عبد العزيز وأُخذت امرأته ابنة المُنْذر بن الجارود فأُقيمت فيمن يزيد فبلغت قيمتها مائة الف فجاء رجل من قومها من رؤوس الخوارج فقال تناحّوا فكذى ما ارى هذه المشركة الّا قد فتنتْكم وهرب عنقها ولحق بالبصرة فسرّه آل المنذر فقالوا والله ما ندرى احمدك ام نذمّك فكان يقول ما فعلته الّا غيرة وحمية، وانتهى عبد العزيز الى رامهُرْمز واتى المهلّبَ خبره فارسل اليه شيخًا من الازد وقال له ان كان[1] منهزمًا فعرِّه[2]، فاتاه الرجل فرآه نازلًا فى نحو ثلاثين فارسًا كثيبًا حزينًا فابلغه الرسالة وعاد الى المهلّب بالخبر فارسل المهلّب الى اخيه خالد بن عبد الله يُخْبره بهزيمته فقال الرسول كذبتَ فقال والله ما كذبتُ فان كنتُ كاذبًا فاهربْ عنّى وان كنتُ صادقًا فاعطنى جُبّتك ومطرقك قال قد رضيتُ من الخطر العظيم بالخطر اليسير وحبسه واحسن اليه حتّى صحّ خبر الهزيمة، قال ابن قيس الرقيات فى هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحتَ جيشك كلّهم وتركتَهم صرعَى بكلّ سبيل

---

[1]) Add. كان. [2]) C. P. عزه quod fors. legi potest عرّه s. غرّه.

Digitized by Google

فصرت ووالیت فنفعت، ولمّا راي عبد الملك قلّة مَنْ مع زفر قال لو علمتُ انّه فى هذه القلّة لحاصرته ابدًا حتّى نزل على حكمى، فبلغ قوله زُفَرَ فقال ان شئْتَ رجعنا ورجعتَ فقال بل نَفِى لكم يا ابا الهذيل، وقال له عبد الملك يومًا بلغنى انّك من كيده فقال وما خير مَنْ لا يبغى حسدًا ولا يدعى رغبة، وتزوّج مَسْلمة ابن عبد الملك الرباب[1] بنت زفر فكان يؤثر لاخوَيْها الهذيل والكَوْثر فى اوّل الناس، وامر زفر ابنه الهذيل ان يسير مع عبد الملك الى قتال مصعب وقال له انت لا عهد عليك فسار معه فلمّا قارب مصعبًا هرب اليه وقاتل مع ابن الاشتر فلمّا قُتل ابن الاشتر اختفى الهذيل بالكوفة حتى استؤمن له من عبد الملك فآمنه كما تقدّم ❁

ذكر عدّة حوادث،

وفى هذه السنة افتتح عبد الملك قيسارية فى قول الواقدىّ، وفيها نزع ابن الزُّبَيْر جابر بن الاسود بن عَوْف عن المدينة واستعمل عليها طلحة بن عبيد الله بن عَوْف وهو آخر آل كان له على المدينة حتّى اتاه طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة واقام طارق بها حتّى سار الى مكّة لقتال ابن الزُّبَيْر، وفى امارة مصعب مات براء بن عازب بالكوفة، ويزيد بن مفرّغ الحميرىّ الشاعر بها ايضًا، وعبد الله بن ابى حدْرد[2] الاسلمىّ شهد الحُدَيْبية وخَيبر، وفى ايّامه مات شُتَيْر بن شَكل القيسىّ الكوفىّ وهو من اصحاب علىّ وابن مسعود، (شُتَيْر بضمّ الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان، وشَكل بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام) ❁

---

[1]) A. et R. الربان. [2]) Codd. h. l. حدرد.

Digitized by Google

بنفسه ونام صاحب الخباء فقام اليه فايقظه وقال والله لئن تكلّمتَ لاقتلنّك قال فقتلت او سلمت فما ذا ينفعك فتلى اذا قُتلتَ انت ولئن سكتّ وجئْتَ معى الى زفر فلك عهد الله وميثاقه ان اردّك الى عسكرك بعد ان يصلك زُفَر ويُحْسن اليك، فخرجا وهو ينادى مَنْ دلّ على بغل من صفته كذا وكذا حتّى اتى زُفَر والرجل معه فاعلمه انّه قد آمنه فوهب له زفر دنانير وحمله على رحالة النساء والبسه ثيابهنّ وبعث معه رجلًا حتّى دنوا من عسكر عبد الملك، فنادوا هذه جارية قد بعث بها زفر الى عبد الملك، وانصرفوا فلمّا نظر اليه اهل العسكر عرفوه واخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال لا يبعد الله رجلًا نصر والله ان قتلهم لذلّ وان تركهم لحسرة، وكفّ الرجل فلم يعُدْ يسبّ زفر وقيل انّه هرب من العسكر، ثمّ انّ عبد الملك امر اخاه محمّدًا ان يعرض على زفر وابنه الهذيل الامان على انفسهما ومَنْ معهما ومالهم وان يُعْطَيا ما احبّا، ففعل محمّد ذلك فاجاب الهذيل وكلّم اباه وقال له لو صالحتَ هذا الرجل فقد اطاعه الناس وهو خير لك من ابن الزُّبَيْر، فاجاب على ان له الخيار فى بيعته سنةً وان ينزل حيث شاء ولا يعين عبد الملك على قتال ابن الزبير، فبينا الرسل تختلف بينهم اذ جاءه رجل من كلب فقال قد قُدم من المدينة اربعة ابراج، فقال عبد الملك لا اصالحهم وزحف اليهم فهزموا اصحابه حتّى ادخلوهم عسكرهم، فقال اعطوهم ما ارادوا فقال زفر لو كان قبل هذا لكان احسن واستقرّ الصلح على ان للجميع ووضع الدماء والاموال وان لا يبايع عبد الملك حتّى يموت ابن الزبير للبيعة له فى عنقه وان يعطى مالًا يقسمه فى اصحابه، وخاف زُفَر ان يغدر به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد فلم ينزل اليه فارسل اليه بقضيب النبىّ صلّعم امانًا له فنزل اليه فلمّا دخل عليه اجلسه معه على سريره فقال ابن عصاة الاشعرىّ انا كنتُ احقّ بهذا المجلس منه، فقال زفر كذبتَ هناك انّى عاديت

اذا لقينا زفر انهزمت القيسيّة الذين معكم فلا تخلطْهم معنا، ففعل فكتبت القيسيّة على نبلها انّه ليس يقاتلكم غدًا مضريٌّ ورموا النبل الى قرقيسيا فلمّا اصبح زفر دعا ابنه الهذيل وبه كان يكنّى وقيل يكنّى ابا الكوثر فقال اخرجْ اليهم فشدّ عليهم شدّة لا ترجع حتّى تضرب فسطاط عبد الملك والله لئن رجعتَ دون ان تطأ اطناب فسطاطه لاقتلنّك، فجمع الهذيل خيله وحمل عليهم فصبروا قليلًا ثمّ انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتّى وطئوا اطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ثمّ رجعوا فقبّل زفر رأس الهذيل وقال لا يزال عبد الملك يحبّك بعدها ابدًا، فقال الهذيل والله لو شئتَ ان ادخل الفسطاط لفعلتُ فقال زفر

ألا لا ابالي مَنْ اتاه حِمامه اذا ما المنايا من هذيل تجلّت

تراه امام الخيل أوّل فارس ويضرب في اعجازها ان تولّت،

ولمّا ثلم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعض اهله لو قاتلتَهم بقُصاعة لملكتَهم، ففعل وقاتلهم فلمّا كان عند المساء انكشفت قُصاعة وكثر القتل فيهم واقبل رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ الى برج منها فسأل اهله وقال نشدتكم الله كم قتلنا منكم قالوا والله لم يُقْتَل منّا احد ولم يُجْرَح الّا رجل واحد ولا بأس عليه ثمّ قالوا نشدناك الله كم قُتل منكم قال عدّة فرسان وجرحتم ما لا يُحْصَى فلعن الله ابن بَحْدل، ورجع رَوْح الى عبد الملك وقال انّ ابن بحدل يمنّيك الباطل فاعرضْ عن هذا الرجل، وكان رجل من كلب يقال له الذيال يخرج فيسبّ زفر فيُكْثر فقال زفر للهذيل ابنه او لبعض اصحابه اما تكفيني هذا قال انا اجتثّك به، فدخل عسكر عبد الملك ليلًا فجعل ينادي مَنْ يعرف بغلًا من صفته كذا وكذا حتّى انتهى الى خباء الرجل وقد عرفه فقال الرجل ردّ الله عليك ضالّتك فقال يا عبد الله انّي قد عييتُ فلو اذنتَ لي فاسترحتُ قليلًا قال ادخلْ فدخل والرجل وحده في خبائه فرمى

ذكر امر عبد الملك وزفر بن الحارث ،

قد ذكرنا فى وقعة راشط مسير زفر الى قرقيسيا واجتماع قيس عليه والسبب فى استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك وكان على بيعة ابن الزبير وفى طاعته ، فلمّا مات مروان بن الحكم وولى ابنه عبد الملك كتب الى ابان بن عُقْبَة بن ابى مُعَيْط وهو على حِمْص يامره ان يسير الى زُفَر فيسار اليه وعلى مقدّمته عبد الله بن زميت الطائىّ فواقع عبد الله زُفَرَ قبل وصول ابان وكثر فى اصحابه القتل قُتل منهم ثلاثمائة فلامه ابان على عجلته واقبل ابان فواقع زُفَرَ فقتل ابنه وكيع بن زُفَر وادركت طيّء ثقل زفر ونساءه فاستوهب محمّد ابن حُصَيْن بن نُمَيْر النساء والحفهنّ بزفر بقرقيسيا فقال زفر

علقن بحبل من حُصَيْن لو انّه تغيّب حالتْ دونهنّ المصائرُ

ابوكم ابونا فى القديم وانّنى لغابركم فى آخر الدهر شاكرُ ،

وكان يقال لزفر انّه من كندة ، ثمّ انّ عبد الملك لمّا اراد المسير الى مصعب سار الى قرقيسيا فحصر زفر فيها ونصب عليها المجانيق فامر زفر ان ينادى عسكر عبد الملك لِمَ نصبتم علينا المجانيق قال لنقتلكم ثلمة نقاتلكم عليها فقال زفر قولوا لهم فانّا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ولكنّا نخرج اليكم ، وثلمت المنجنيق من المدينة برجًا ممّا يلى حُرَيْث بن بَحْدل فقال زفر

لقد تركتْنى منجنيق ابن بَحْدل احيد عن العصفور حين تطير ،

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مجدًّا فى قتالهم فقال رجل من اصحاب زفر من بنى كلاب لاقولنّ لخالد كلامًا يعود الى ما يصنع فلمّا كان الغد خرج خالد للمحاربة فقال له الكلابىّ

ما ذا ابتغاء خالد وقِّه اذ سلب المُلك ونيكتْ امّه ،

فسكتوا وعاد ولم يرجع يقاتلهم ، وقالت كلب[1] لعبد الملك انّا

---

[1]) Cod. الكلب ; forte الكلبية.

Digitized by Google

افرحنا فعلمنا انّ قتله شهادة وامّا الذى احزننا فانّ لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة يرعوى بعدها ذوو الراى الجميل الى الصبر وكريم العزاء وما مصعب الّا عبد من عبيد الله وهون من اعوانى الا وانّ اهل العراق اهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه باقلّ الثمن فان يقبل به والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو ابى العاص والله ما قُتل رجل منهم فى زحف فى الجاهليّة ولا فى الاسلام ولا نموت الّا قعصًا بالرماح وتحت ظلال السيوف الا انّما الدنيا عارية من الملك الّا على الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها اخذ البطر وان تدبر لم ابكه عليها بكاء الصرع المهين اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم، (حَجّار بن ابجر بفتح الحاء المهملة وتشديد الجيم وكنيته ابو أُسَيد بضمّ الهمزة وفتح السين، وحُتَى بضمّ الحاء المهملة وبالتاء الموحّدة المشدّدة المفتوحة وآخره يا مثنّاة من تحتها، وعبد الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاء) ☆

ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة،

وفى هذه السنة تنازع ولاية البصرة حُمران بن ابان وعبيد الله ابن ابى بكرة فقال ابن ابى بكرة انا اعظم منك كنت اقف على اصحاب خالد يوم الجُفْرة، فقيل لحُمران انّك لا تقوى على ابن ابى بكرة فاستعِنْ بعبد الله بن الاهْيم [1]، فاستعان به فغلب على البصرة وعبد الله على شرطها وكان لحمران منزلة عند بنى اميّة وكانت هذه المنازعة بعد قتل مصعب، فلمّا استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسيد فوجّه خالد عبيدَ الله بن ابى بكرة اليها خليفة له فلمّا قدم على حمران قال قد جئْت لاجبت [2] فكان عبيد الله عليها حتّى قدم خالد ولمّا فرغ عبد الملك من امر العراق عاد الشام ☆

1) Codd. الاهثم 2) R. لا جئت.

Digitized by Google

فتى لم يكن فى مرّة للحرب جاهلًا ولا بمطيع فى الوغا من تهيّبا
ابان انوف الحىّ قحطان قتلُهُ وانف فزار قد ابان فارعبا
فمن يك امسى خائبًا لامير نا خان ابراهيم فى الموت مصعبا ٭

وحين قُتل مصعب كان المهلّب يحارب الازارقة بسُولاف * بلد بفارس على شاطئ البحر[1] ثمانية اشهر فبلغ قتله الازارقة قبل المهلّب فصاحوا باصحاب المهلّب ما قولهم فى مصعب قالوا امير هدى[2] وهو وليّنا فى الدنيا والآخرة ونحن اولياؤه ٭ قالوا فما قولكم فى عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين نحن نبرأ الى الله منه وهو احلّ دمًا منكم ٭ قالوا فانّ عبد الملك قتل مصعبًا وستجعلون غدًا عبد الملك امامكم ٭ فلمّا كان الغد سمع المهلّب واصحابه قتل مصعب فبايع المهلّب الناس لعبد الملك بن مروان فصاح بهم الخوارج يا اعداء الله ما تقولون فى مصعب قالوا يا اعداء الله لا نُخبركم وكرهوا ان يكذّبوا انفسهم قالوا وما قولكم فى عبد الملك قالوا خليفتنا ولم يجدوا بدًّا اذ بايعوه ان يقولوا ذلك ٭ قالوا يا اعداء الله انتم بالامس تبرأون منه فى الدنيا والآخرة وهو اليوم امامكم وقد قتل اميركم الذى كنتم تتولّونه فايّهما المهتدى وايّهما المُبطل ٭ قالوا يا اعداء الله رضينا بذلك اذ كان يتولّى امرنا ويرتضى بهذا ٭ قالوا لا والله ولكنّكم اخوان الشياطين وعبيد الدنيا ٭ وامّا عبد الله بن الزُّبير فلمّا انتهى اليه قتل اخيه مصعب قام فى الناس فخطبهم فقال الحمد لله الذى له الخلق والامر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّ من يشاء ويُذلّ مَنْ يشاء الا وانّه لم يذلّل الله مَنْ كان الحقّ معه وان كان فردًا ولم يعزّز مَنْ كان وليّه الشيطان وان كان الناس معه طُرًّا الا وانّه قد اتانا من العراق خبر احزننا وافرحنا اتانا قتل مصعب رحمه الله وامّا الذى

---

[1]) Om. C. P. [2]) C. P. هدل.

Digitized by Google

قبّح الله عميرًا لصّ ثوبٍ ينازع عليه اعزّ عنده من نفسه ودينه قالوا فشبيب قال انّ للحروريّة لطريقًا قالوا فمَنْ قال مصعب كان عنده عقيلتا قريش سُكَيْنة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ثمّ هو اكثر الناس مالًا جعلتُ له الامان وولاية العراق وعلم انّى سأفى له للمودّة التى كانت بيننا فحمى انفًا وأبى وقاتل حتّى قُتل، فقال رجل كان مصعب يشرب النبيذ قال كان ذلك قبل ان يطلب المروّة فلمّا مذ طلبها فلو علم انّ الماء ينقص مروّته ما ذاقه قال الاكشر الاسدىّ

حمى انفه ان يقبل الضيم مصعبٌ فات كريمًا لم تذمّ خلائقُهْ
ولو شاء أعطى الضيم مَنْ رام ضيمه فعاش ملومًا فى الرجال طرائقُهْ
ولكن مضى والبرق يبرق خاله يشاوره مرًّا ومرًّا يعانقُهْ
فوفّى كريمًا لم تنلْهُ مذمّة ولم يك رغدًا تطيبه نمارقُهْ

وقال عَرْفجة بن شريك

ما لابن مروان اعمى الله ناظره
ولا اصاب رغيبات ولا نعلا
يرجو الفلاح أبن مروان وقد قتلتْ
خيل ابن مروان حرقًا ماجدًا بطلا
يا ابن الحوارىّ كُمْ من نعمة لكُمُ
لو رام غيركُمُ امثالها شغلا
حملتمُ فحملتم كلّ مفضلة
انّ الكريم اذا حمّلته حملا

وقال عبد الله بن الزّبير الاسدىّ فى ابراهيم بن الاشتر (هذا الزّبير بفتح الزاء وكسر الباء)

سابكى وان لم تبك فتيان مَذْحِجٍ فتاها اذا الليل[1] النّمام تأوّبا

---

[1]) C. P. النبل.

Digitized by Google

الناس واخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حريث فاجلسه معه على سريره ثمّ جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك ما الذّ عيشنا لو دام ولكنّا كما قال الاوّل

وكلّ جديد يا اميم الى بلى وكلّ أمرء يومًا يصير الى كان

فلمّا فرغوا من الطعام طاف عبد الملك فى القصر وعمرو بن حريث معه وهو يسأله لمن هذا البيت ومَنْ بنى هذا البيت وعمرو يُخبره فقال عبد الملك

اعملْ على مهلٍ فانّك ميّتٌ واكدحْ لنفسك ايّها الانسان

فكأنّ ما قد كان لم يكُ اذ مضى وكأنّ ما هو كائنٌ قد كان

ولمّا بلغ عبدَ الله بن خازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال امعه عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر قيل لا استعمله على فارس قال امعه المهلّب قيل لا استعمله على الخوارج قال امعه عبّاد بن الحُصَيْن قيل استخلفه على البصرة قال وانا بخراسان

خذينى فجرينى[1] جعار وابشرى بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ولمّا قُتل مصعب بعث عبد الملك رأسه الى الكوفة او حمله معه اليها ثمّ بعث به الى اخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلمّا رآه وقد قطع السيف انفه قال رحمك الله اما والله لقد كنتَ من احسنهم خلقًا واشدّهم بأسًا واسخاهم نفسًا، ثمّ سيّره الى الشام فنُصب بدمشق وارادوا ان يطوفوا به فى نواحى الشام فاخذتْه عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وهى امّ يزيد بن عبد الملك فغسلته ودفنته وقالت اما رضيتم بما صنعتم حتّى تطوفوا به فى المدن هذا بغىٌ، وكان عمر مصعب حين قُتل ستًّا وثلاثين سنة، قال يومًا عبد الملك لجلسائه مَنْ اشدّ البأس قالوا امير المؤمنين قال اسلكوا غير هذا الطريق قالوا عُمَيْر بن الحُباب قال

---

[1]) A. فحربنى; C, P. فجربنى.

Digitized by Google

وهم من ولد واسنو لسير[1] النسب لخص ،

فاقبل عبد الملك على ذلك الجيل فقال مَنْ هو فقال لا ادرى فقال معبد من ورائه هو ذو الاصبع فاقبل على الجيل فقال لِمَ تسمّى ذا الاصبع فقال لا ادرى فقال معبد لانّ حيّة نهشت اصبعه فقطعتها فاقبل على الجيل فقال ما كان اسمه قال لا ادرى فقال معبد حرثان بن الحارث فقال للجميل من ايكم هو قال لا ادرى فقال معبد من بنى ناج ثمّ قال للجميل كم عطاؤك قال سبعمائة قال لمعبد كم عطاؤك قال ثلاثمائة فقال لكاتبه اجعلْ معبدًا فى سبعمائة وانقصْ من عطاء هذا اربعمائة ففعل ، ثمّ جلست كندة فنظر الى عبد الله ابن اسحاق بن الاشعث فاوصى به اخاه بشر بن مروان ، واقبل داؤد بن قحذم فى جمع كثير من بكر بن وائل عليهم الالقبيّة الداؤديّة وبه سُمّيت فجلس مع عبد الملك على سريره * فاقبل عليه عبد الملك[2] ثمّ نهض ونهضوا معه فقال عبد الملك هؤلاء الفسّاق لولا انّ صاحبهم جاءنى ما اعطانى احد منهم طاعة ، ثمّ ولّى قطن بن عبد الله الحارثىّ الكوفة ثمّ عزله فاستعمل اخاه بشر بن مروان ثمّ استعمل محمّد بن عُمَيْر الهمدانىّ على قَمّذان ويزيد بن رُوَيْم على الرىّ ولم يفِ لاحد شرط له اصبهان وقال علىّ بهؤلاء الفسّاق الذين امعلوا الشام وافسدوا العراق فقيل قد اجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير علىّ احد ، وكان عبد الله بن يزيد بن اسد والد خالد القَسْرىّ قد لجأ الى علىّ بن عبد الله بن عبّاس ولجأ اليه ايضًا يحيى بن مَعْيوف الهمدانىّ ولجأ الهذيل بن زُفَر بن الحارث وكان مع عبد الملك عنى ما نذكره وعمرو بن يزيد الحكمىّ الى خالد بن يزيد فآمنهم عبد الملك فظهروا ، فصنع عمرو بن حُرَيْث لعبد الملك طعامًا كثيرًا وامر به الى الخَورنق واذن اذنًا عامًّا فدخل

---

[1]) A. بسر; R. نسير. [2]) Om. R.

Digitized by Google

مثلك، وكانا[1] يتحدّثان الى حتّى وهما بالمدينة فقيل لها قُتل مصعب فقالت تعس قاتله فقيل قتله عبد الملك بن مروان فقالت وا بؤ القاتل والمقتول، ثمّ دعا عبد الملك بن مروان جند العراق الى بيعته فبايعوه وسار حتّى دخل الكوفة فاقام بالنُّخَيْلة اربعين يومًا وخطب الناس بالكوفة فوعد المُحْسن وتوعّد المُسيء فقال انّ الجامعة لله وُضعت فى عنق عمرو بن سعيد عندى ووالله لا اضعها فى عنق رجل فانتزعها الاصعد الّا افكّها عنه فكًّا فلا يتقنّ امرؤ الّا على نفسه ولا يولغنّ دمه والسلام، ودعا الناس الى البيعة فبايعوه فحضرتْ قضاعة فقال لهم كيف سلمتم رايتم قليل مع مُضَر، فقال عبد الله بن يَعْلى النَّهْدىّ نحن اعزّ منهم وامنع بك ومن معك منّا، ثمّ جاءتْ مَذْحِج فقال ما ارى لاحد مع هؤلاء بالكوفة شيئًا، ثمّ جاءت جُعْفى فقال ايتونى بابن اختكم يعنى يحيى بن سعيد وكانت امّه مَذْحِجيّة فقالوا هو آمن فقال وتشترطون ايضًا فقال رجل منهم انّا ما نشترط جهلًا بحقّك ولكنّا نتسحّب عليك تسحّب الولد على الوالد، فقال نعم انتم لحىّ ان كنتم لفرسانًا فى الجاهليّة ليحضرْ فهو آمن، فاتوه به فبايعه، ثمّ اتته عَذْوان فقدّموا بين ايديهم رجلًا جميلًا وسيمًا فقال عبد الملك

عذير لحىّ من عَذْوان كانوا حيّة الارض
بغى بعضهم بعضًا فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادات والموفون بالفرض،

ثمّ اقبل على ذلك الرجل الجميل فقال ايّه فقال لا ادرى فقال مَعْبد ابن خالد الجدلىّ وكان خلفه

ومنهم حكم يقضى فلا ينقضُ ما يقضى
ومنهم مَنْ يجيز الحجّ بالسنّة والفرض

---

[1]) Nisi quid hic exciderit, legendum videtur وكانوا يتحدثون الى حبى وهم... [2]) In C. P. وكانوا exstat.

Digitized by Google

فهشمها وجرحه فرجع وعصّب رأسه وترك الناس مصعبًا وخذلوه حتّى بقى فى سبعة انفس وأُثخن مصعب بالرمى وكثرت الجراحات فيه فعاد الى عبيد الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب فلم يصنع شيئًا لضعفه بكثرة الجراحات وضربه ابن ظبيان فقتله، وقيل بل نظر اليه زائدة بن قُدامة الثقفىّ فحمل عليه فطعنه وقال يا لثرات المختار فصرعه واخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله الى عبد الملك فالقاه بين يدَيْه وانشد

فعاطى الملوكَ الحقّ ما قسطوا[1] لنا وليس علينا قتلهم بمحرّم

فلمّا راى عبد الملك الرأس ساجد قال ابن ظبْيان لقد هممتُ ان اقتل عبد الملك وهو ساجد فاكون قد قتلتُ ملكَى العرب وارحتُ الناس منهما، وقال عبد الملك لقد هممتُ ان اقتل ابن ظبيان فاكون قد قتلتُ أفتكَ الناس باشجع الناس، وامر عبد الملك لابن ظبيان بالف دينار فقال لم اقتله على طاعتك وانّما قتلتُهُ على قتل اخى النابغ بن زياد ولم ياخذ منها شيئًا، وكان قتل مصعب بدَيْر الجاثليق عند نهر دُجَيْل فامر عبد الملك به وبابنه عيسى فدُفنا وقال كانت لحرمة بيننا قديمة ولكنّ المُلْك عقيمٌ[2]، وكان سبب قتل النابغ انّه قطع الطريق هو ورجل من بنى نُمَيْر فأُحْضِرا عند مُطَرِّف بن سَيْدان الباهلىّ صاحب شرطة مصعب فقتل النابغ وضرب النميرىّ واطلقه فجمع عبيد الله جمعًا وقصد مطرّفًا بعد ان عزله مصعب عن شرطته وولّاه الاهواز وسار عبيد الله الى المطرّف فقتله فبعث مصعب مُكْرَم بن مطرّف فى طلب عبيد الله فسار حتّى بلغ عسكر مُكْرَم فنُسب اليه ولم يلق عبيد الله كان قد لحق بعبد الملك، وقيل فى قتله غير ذلك، فلمّا أُوتى عبد الملك برأس مصعب نظر اليه وقال متى تغدو قرشيّة

---

[1]) R. قصدوا. [2]) Vid. *Meidanii* II, p. 685.

Digitized by Google

الا انّ لى[1] بالطفّ من آل هاشم تاسّوا فسوّوا للكرام التأسّا،

قال عُرْوة فعلمتُ انّه لا يبرح حتّى يُقْتَل، ثمّ دنا محمّد بن مروان من مصعب وناداه انا ابن عمّك محمّد بن مروان فاقبلْ امان امير المؤمنين، فقال امير المؤمنين بمكّة يعنى اخاه عبد الله بن الزُّبَيْر، قال فانّ القوم خاذلوك فأبى ما عرض عليه فنادى محمّد عيسى ابن مصعب بن الزبير له فقال له مصعب انظرْ ما يريد منك فدنا منه فقال له انّى لك ولابيك ناصح ولكما[2] الامان، فرجع الى ابيه فاخبره فقال انّى اظنّ القوم يفون لك فان احببتَ ان تاتيهم فافعلْ فقال لا تتحدّث نساء قريش انّى خذلتُك ورغبت نفسى عنك، قال فاذهبْ انت ومَنْ معك الى عمّك بمكّة فاخبره بما صنع اهل العراق ودَعْنى فانّى مقتول، فقال لا اخبر عنك قريشًا ابدًا ولكن يا ابه الحقْ بالبصرة فانّهم على الطاعة او الحقْ بامير المؤمنين، فقال مصعب لا تتحدّث قريش انّى فررتُ وقال لابنه عيسى تقدّم انمِ احتسبك، فتقدّم ومعه ناس فقُتِل وقُتلوا وجاء رجل من اهل الشام ليجتزّ رأس عيسى فحمل عليه مصعب فقتله وشدّ على الناس فانفرجوا له وعاد ثمّ حمل ثانية فانفرجوا له وبذل له عبد الملك الامان وقال انّه يعزّ علىّ ان تُقْتَل فاقبلْ امانى ولك حكمك فى المال والعمل، فأبى وجعل يضارب فقال عبد الملك هذا والله كما قال القائل

ومُدْجِج[3] كره الكماة نزاله وممعن[4] هربًا ولا مستسلما،

ودخل مصعب سرادقه فتخنّط ورمى السرادق وخرج فقاتل فاتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان فدعاه الى المبارزة فقال له يا كلب العرب مثلى مبارز مثلك وحمل عليه مصعب فضربه على البيضة

---

1) C. P. الى الالى; R. ان الاولى. 2) Om. C. P. R. لكم. 3) A. ومدّ حجّ. 4) A. وممتعن; R. لاممعن.

Digitized by Google

والله لقد رايتُ سيّد اهل الشام على باب الخليفة يفرح ان ارسله في حاجة ولقد رايتُنا في الصوائف وانّ زادَ احدنا على عدّة اجمال وانّ الرجل من وجوهكم ليغزو على فرسه وزاده خلفه، فلم يسمعوا منه، فلمّا تدانا العسكران ارسل عبد الملك الى مصعب رجلًا من كلب وقال له اقرئ ابن اختك السلام وكانت امّ مصعب كلبيّة وقلْ له يدَع دعاء الى اخيه وادَع دعائي الى نفسي ويجعل[1] الامر شورى، فقال له مصعب قلْ له السيف بيننا، فقدّم عبد الملك اخاه محمّدًا وقدّم مصعب ابراهيم بن الاشتر فالتقيا فتناوش الفريقان فقُتل صاحب لواء محمّد وجعل مصعب يمدّ ابراهيم فازال محمّدًا عن موقفه فوجّه عبد الملك عبدَ الله بن يزيد الى اخيه محمّد فاشتدّ القتال فقُتل مسلم بن عمرو الباهليّ والد قتيبة وهو من اصحاب مصعب وامدّ مصعب ابراهيمَ بعتّاب بن ورقاء فساء ذلك ابراهيم وقال قد قلتُ له لا تمدّني بعتّاب وضرباته وانّا لله وانّا اليه راجعون، فانهزم عتّاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وبايعه فلمّا انهزم صبر ابن الاشتر فقُتل قتله عبيد بن مَيْسرة مولى بني عُذْرة وحمل رأسه الى عبد الملك، وتقدّم اهل الشام فقاتلهم مصعب وقال لقَطن بن عبد الله الحارثيّ قدّمْ خيلك ابا عثمان، فقال اكره ان تُقتل مُدْحِج في غير شيء، فقال نُجار بن أبْجر يا ابا أسيد قدّمْ خيلك قال الى هؤلاء الانتان[2] قال ما تتأخّر اليه انتن، فقال لمحمّد بن عبد الرحمان بن سعيد مثل ذلك فقال ما فعل احد[3] هذا فافعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لي اليوم ثمّ التفت فراى عُروة بن المُغيرة بن شُعْبَة فاستدناه فقال له اخبرْني عن الحسين بن عليّ كيف صنع بامتناعه عن النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فاخبره فقال

---

[1]) R. ويدع. [2]) C. P. الاثمان; A. الامان. [3]) C. P. اسيد.

Digitized by Google

بالكوفة واحضر مصعب ابراهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة فلمّا حضر عنده جعله على مقدّمته وسار حتّى نزل بَاخَمْرا وهي قريب أوانا وهي من مَسْكن فعسكر هناك، وسار عبد الملك وعلى مقدّمته اخوه محمّد بن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أَسيد فنزلوا بقرقيسيا وحصروا زُفَر بن الحارث الكلابيّ ثمّ صالحهم على ما نذكره ان شاء الله تعالى، وسيّر زُفَر ابنه الهذيل مع عبد الملك وكان معه ثمّ لحق بمصعب بن الزبير، فلمّا اصطلحا سار عبد الملك ومَنْ معه فنزلوا بمَسْكن قريبًا من عسكر مصعب بين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان وكتب عبد الملك الى اهل العراق مَنْ كاتبه ومَنْ لم يكاتبه ويذل لجميعهم اصبهان طعمةً وقيل انّ كلّ مَنْ كاتبه طلب منه امرة اصبهان فقال ايّ شيء هذه اصبهان حتّى كلّهم يطلبها فكلّ منهم اخفى كتابه الّا ابراهيم بن الاشتر فانّه احضر كتابه عند مصعب مختومًا فقرأه مصعب فاذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال له مصعب اتدرى ما فيه قال لا قال يعرض عليك كذا وكذا وانّ هذا لما يرغب فيه، فقال ابراهيم ما كنتُ لاتقلّد الغدر والخيانة ووالله ما عند عبد الملك من احد من الناس بأيْأَس منه منّى ولقد كتب الى اصحابك كلّهم مثل الذى كتب اليّ فاطعْنى واضربْ اعناقهم، قال اذًا لا يناصحنى عشائرهم قال فاوقرْهم حديدًا وابعثْ بهم الى ابيض كسرى واحبسْهم هناك ووكّلْ بهم مَنْ ان غُلبتَ وتفرّقتْ عشائرهم عنك ضرب رقابهم وان ظهرتَ منيتَ على عشائرهم باطلاقهم، فقال انّى لفى شغل عن ذلك فرحم الله ابا بحر يعنى الاحْنف بن قيس ان كان ليحذّرنى غدر اهل العراق ويقول هم كالومسة تريد كلّ يوم بعلًا وهم يريدون كلّ يوم اميرًا، فلمّا راى قيس بن الهَيْثم ما عزم اهل العراق عليه من الغدر لمصعب قال لهم ويحكم لا تُدْخلوا اهل الشام عليكم فوالله لئن يطعموا بعيشكم ليضيقُنّ عليكم منازلكم

Digitized by Google

مخالف فيه اجمع المسير الى مصعب بن الزُّبَيْر بالعراق فاستشار اصحابه فى ذلك فاشار يحيى بن الحَكَم بن ابى العاص عمّه بان يقنع بالشام ويترك ابن الزبير والعراق وكان يقول عبد الملك مَنْ اراد صواب الراى فليخالفْ يحيى وقال بعضهم انّ العام جدب وقد غزوتَ سنتَيْن فلم تظفرْ فاقمْ عامك هذا، فقال عبد الملك الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاده وقد كتب كثير من اشراف العراق يدعونني اليهم، وقال اخوه محمّد بن مروان الراى ان تطلب حقّك وتسير الى العراق فانّى ارجو انّ الله ينصرك، وقال بعضهم الراى ان تقيم وتبعث بعض اهلك وتمدّه بالجنود، فقال عبد الملك انّه لا يقوم بهذا الامر الّا قرشىٌّ له راى ولعلّى ابعث مَنْ له شجاعة ولا راى له وانّى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان احتجتُ اليه ومصعب شجاع من بيت شجاعة ولكنّه لا علم له بالحرب يحبّ الخفْض ومعه مَنْ يخالفه ومعى مَنْ ينصح لى، فلمّا عزم على المسير ودّع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فبكت وبكى جواريها لبكائها فقال قائل الله كثير عزّة لكانّه يشاهدنا حين يقول

اذا ما اراد العزّ لم يثن همّه حصان عليها عقْد درّ يزينها

نهتْه فلمّا لم تر النهى عاقه بكتْ وبكى ممّا عناها قطينها،

وسار عبد الملك الى العراق فلمّا بلغ مصعبًا مسيره وهو بالبصرة ارسل الى المهلّب وهو يقاتل الخوارج يستشيره وقيل بل احضره عنده فقال لمصعب اعلم انّ اهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا تُبْعدنّ عنك، فقال له مصعب انّ اهل البصرة قد أبوا * ان يسيروا حتّى اجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الاهواز وانا اكره[1] اذ سار عبد الملك الىّ ان لا اسير اليه فاكفنى هذا الثغر، فعاد اليهم وسار مصعب الى الكوفة ومعه الاحْنف فتوفّى

---

[1]) Om. R.

Digitized by Google

فى ابيات، ولم يزل الجحّاف يتردّد فى بلاد الروم من طرابزندة[1] الى قاليقلا وبعث الى بطانة عبد الملك من قيس حتّى اخذوا له الامان فآمنه عبد الملك فقدم عليه فالزمه ديات مَنْ قتل واخذ منه الكفلاء وسعى فيها فاتى الحجّاج من الشام فطلب منه فقال له متى عهدتنى خائنًا فقال له ولكنّك سيّد قومك ولك عمالة واسعة فقال لقد الهمت الصدق فاعطاه مائة الف درهم وجمع الديات فوصلها، ثمّ تنسّك بعد وصلح ومضى حاجًّا فتعلّق باستار الكعبة وجعل ينادى اللهمّ اغفرْ لى وما اظنّ تفعل فسمعه محمّد بن الحنفيّة فقال يا شيخ قنوطك شرّ من ذنبك، * وقيل انّ سبب عوده كان انّ الجحّاف اكرمه ملك الروم وقرّبه وعرض عليه النصرانيّة ويعطيه ما شاء وقال ما اتيتُك رغبة عن الاسلام، ولقى الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفة فانهزم المسلمون واخبروا عبد الملك انّهم هزمهم الجحّاف فارسل اليه عبد الملك يؤمّنه فسار وقصد البشْر وبه حتّى من بشر وقد لبس اكفانه وقال قد جئتُ اليكم اعطى القود من نفسى واراد شابّهم قتله فنهاهم شيوخهم فغفر عنه وحجّ فسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول اللهمّ اغفر لى وما اظنّك تفعل فقال ابن عمر لو كنت الجحّاف ما زدتَ على هذا قال فانا الجحّاف[2] ☆

ثمّ دخلت سنة احدى وسبعين، سنة ٧١

ذكر مقتل مُصْعَب وملك عبد الملك العراق،

فى هذه السنة قُتل مصعب بن الزُّبَيْر فى جمادى الآخرة واستولى عبد الملك بن مروان على العراق، وسبب ذلك انّ عبد الملك ابن مروان لمّا قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما تقدّم ذكره وضع السيف فقتل مَنْ خالفه فصفا له الشام، فلمّا لم يبق له

---

[1]) C. P. add. الى كماخ الى. [2]) Om. C. P.

Digitized by Google

لاصحابه انّ امير المؤمنين قد ولّانى هذه الصدقات فمَنْ اراد اللحاق بى فليفعلْ، ثم سار حتّى اتى رُصافة هشام فاعلم اصحابه ما كان من الاخطل اليه وانّه افتعل كتابًا وانّه ليس بوالٍ فمَنْ كان احبّ ان يغسل عنّى العار وعن نفسى فليصحبنّ فانّى قد اقسمتُ ان لا اغسل رأسى حتّى اوقع فى بنى تغلب، فرجعوا عنه غير ثلاثمائة قالوا له نموت بموتك ونحيى بحياتك، فسار ليلته حتّى صبّح الرّحوب وهو ماء لبنى جُشَم بن بكر من تغلب فصادف عليه جماعة عظيمة منهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة واسر الاخطل وعليه عباءة وسخة فظنّه الذى اسره عبدًا فسأله مَنْ هو فقال عبد فاطلقه فرمى بنفسه فى جبّ فخاف ان رآه مَنْ يعرفه فيقتله، فلمّا انصرف الحجّاف خرج من الجبّ واسرف الحجّاف فى القتل وبقر البطون عن الاجنّة وفعل امرًا عظيمًا فلمّا عاد عنهم قدم الاخطل على عبد الملك فانشده قوله

لقد اوقع الحجّاف بالبشر وقعةً الى الله منها المشتكى والمعوّل،

فهرب الحجّاف فطلبه عبد الملك فلحق ببلاد الروم وقال بعد وقعة البشر يخاطب الاخطل

ايا مالكا هل لُمْتَنى او حصصتَنى
على القتل ام هل لامنى لكَ لائم
الم افنِكم قتلًا واجدع انفكم
بفتيان قيس والسيوف الصوارمِ
بكلّ فتًى ينعى عُمَيْرًا بسيفه
اذا اعتصمتْ ايمانهم بالقوائمِ
فان تطردونى تطردونى فقد جرى
بِىَ الورد يومًا فى دماء الاراقمِ
نكحتُ بسيفى فى زهيرٍ ومالكٍ
نكاحَ اغتصاب لا نكاح دراهمِ

Digitized by Google

فقد افنى بنى جُشْم ابن بكرٍ ونمرٌ فوارس من كلاب
قتلنا منهمُ مائتَيْن صبراً وما عدلوا عميرَ بن الحباب ،

وقال ابن صغار الحارثىّ

الم تر حربنا تركتْ حُبَيْبًا مخالفها المذلّة والصغار
وقد كانوا اولى عزٍّ فأضحوا وليس لهم من الذلّ انتصار ،

وأسر القطامىّ التغلبىّ فى يوم من ايّامهم وأُخذ ماله فقام زُفر بامره حتّى ردّ عليه ماله ووصله فقال فيه

انّى وان كان قومى ليس بينهمُ وبين قومك الّا ضربة الهادى
منّ عليك بما اوليت من حسن وقد تعرّض من مقتل بادى ،

*(حُبَيْب الذى فى الشعر هو بضمّ الحاء المهملة وفتح الباء الموحّدة وهو فى نسب بنى تغلب) [1] *

يوم البشر ،

لمّا استقرّ الامر لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدم عليه الاخْطل الشاعر التغلبىّ وعنده لجحّاف بن حُكَيْم السليمىّ فقال له عبد الملك اتعرف هذا يا اخطل قال نعم هذا الذى اقول فيه

ألا سائل لجحّاف هل هو ثائر بقتلى أُصيبت من سُلَيْم وعامر

وانشد القصيدة حتّى فرغ منها وكان لجحّاف ياكل رطبًا فجعل [2] للنوا يتساقط من يده غيظًا * واجابه وقال

بلى سوف نبكيهم بكلّ مهنّد وتنعى عُمَيْرًا بالرماح الشواجر [3]

ثمّ قال يا ابن النصرانيّة ما كنتُ اظنّ ان تجترئ علىّ بمثل هذا فارعد الاخطل من خوفه ثمّ قام الى عبد الملك وامسك ذيله وقال هذا مقام العائذ بك فقال انا لك جار ثمّ قام لجحّاف ومشى وهو يجرّ ثوبه ولا يعقل به فتلطّف لبعض كتّاب الديوان حتّى اختلق له عهدًا على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة وقال

---

[1]) Om. C. P. [2]) A. et R. غدى. [3]) Om. C. P. et A.

Digitized by Google

ابن خارجة الفزاريّ بالكوفة فقال قتلتْ بنو تغلب عميز بن الحباب فقال لا بأس انّما قتل الرجل فى ديار القوم مقبلًا غير مدبر ثمّ قال

يدى[1] رهن على سُلَيْم بغارة تشيب لها اصداغُ بكر بن وائل
وتترك اولاد الفَدَوْكس عالة يتامى ايّامى نَهْرة للقبائل ❊

يوم الكُحَيْل

وهو من ارض الموصل فى جانب دجلة الغربىّ، وسببه انّه لمّا قُتل عُمَيْر بن الحُباب السُّلَمىّ اتى تميم بن عمير زُفَرَ بن الحارث فسأله ان يطلب له بثاره فامتنع فقال الهذيل بن زفر لابيه والله لئن ظفرتْ بهم تغلب انّ ذلك لعارٌ عليك ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم انّ ذلك لَاشدّ، فاستخلف زُفَر على قرقيسيا اخاه أَوْس بن الحارث وعزم على ان يغير على بنى تغلب ويغزوهم فوجّه خيلًا الى بنى فَدَوْكس بطن من تغلب فقتل رجالهم واستبيحتْ اموالهم ونساءهم حتّى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فاجارها يزيد بن حُمْران، ووجّه زُفَر بن الحارث ابنه الهذيل فى جيش الى بنى كعب بن زهير فقتل فيهم قتلًا ذريعًا وبعث زفر ايضًا مُسْلم ابن ربيعة العُقَيْلىّ الى قوم تغلب مجتمعين فاكثر فيهم القتل، ثمّ قصد زفر لبنى تغلب وقد اجتمعوا بالعَقيق من ارض الموصل فلمّا احسّت به ارتحلت تريد عبور دجلة فلمّا صارت بالكُحَيْل لحقهم زفر فى القيسيّة فاقتتلوا قتالًا شديدًا وترجّل اصحاب زفر اجمعون وبقى زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساء منهم وغرق فى دجلة اكثر ممّنْ قُتل بالسيف فانى فلّهم لبّى فوجه زفر ابنه الهذيل فاوقع بهم الّا مَنْ عبر فنجا وأسر زفر منهم مائتَيْن فقتلهم صبرًا فقال زفر

ألا يا عين بكّى بانسكاب وبكّى عاصمًا وابن الحُباب
فان تك تغلب قتلتْ عُمَيْرًا ورهطًا من غنىّ فى الحراب

---

[1]) Codd. add. لك.

Digitized by Google